نَظَرِيَّةُ النَّظْمِ: الجُذُورُ والامتدَادَاتُ
(قِرَاءَةٌ نقدِيَّةٌ فِي مُقَدِّمَتِي عَبدِالمَطَّلبِ وأَبِي مُوسَى)

إِعْدَاد
د/رِيمٌ عَلِيّ جَابِر آل مُدَاوِي
قِسْمُ اللُّغَةِ العَرَبيَّة وآدَابِهَا - كُلِيَّةُ العُلُومِ الإنسَانيَّةِ
جَامِعَةُ المَلِك خالدٍ- المَملَكَةُ العَرَبيَّةُ السُّعُودِيَّةُ

المستخلص:
تُعَدُّ "نَظَرِيَّةُ النَّظْمِ "أهمَّ القَضَايَا البَلَاغِيَّةِ ذَاتِ الأَثَرِ البَارِزِ في الدَّرْسِ البَلَاغِيّ؛ قَديمِهِ وجَديدِهِ؛ فَقَدِ ارتبَطَتْ في الخِطَابِ البَلَاغِيّ والنَّقْدِيّ القَدِيمِ بمَا أَنْجزَهُ عَبدُ القاهِرِ الجُرْجانِيّ(ت٤٧١هـ) تَنظِيرًا وتَطْبيقًا في دَلَائِلِ الإعْجازِ، مَعَ ما لَهَا من جُذُورٍ وإرهَاصَاتٍ لاتُجْحَدُ لَدَى سَابقِيهِ مِنَ النُّحَاةِ والبلَاغيّينَ، وما أَحْدَثَتْهُ القِرَاءاتُ اللَّاحِقَةِ مِنْ إضَافَاتٍ ومَفَاهِيمَ أَكْسَبَتها قُدْرةً عَلَى التَّطَوُّرِ في قِراءَةِ النَّصّ وثقافَةِ المُتَلقّينَ حَتَّى العَصْرِ الحَدِيثِ بِمُنجزِهِ اللِّسَانيّ والنَّقْدِيّ مِن تَفريعاتٍ أغنَتِ النَّظريَّةَ، وتَطْبيقَاتٍ لاءَمَتْ رُوحَ العَصرِ وأذوَاقَ المُبدعينَ والقُرَّاءِ؛ لِذَا آثرَ البَحثُ أَهمَّ قِرَاءَتَينِ مُعاصِرتَينِ مُتباينَتينِ لِهذهِ النَّظريَّةِ؛ هما قِراءَتا محمد أبي مُوسَى، ومحمد عبد المُطَّلِبِ من خِلَالِ مُقدّمتَي كِتَابَيهِما: "مَدْخَل إلَى كِتَابَي عبدالقاهِرِ الجُرجانِيّ" لأبي مُوسَى، وقَضَايَا الحَدَاثَةِ عِندَ عبدِالقاهِرِ" لعبدِالمطَّلِب في مُسَاءَلَتِهما النَّظَرِيَّةَ في قُدرتِهَا عَلَى البقَاءِ أَوِ عَجْزِها عَن مُواكَبةِ الخِطَابِ الإبْدَاعِيّ والنَّقْدِيّ المُعاصِرِ، ومُنَافَسَتِهِ، في ضوءِ تنوُّعِ القِراءَاتِ وتَنَوُّع ثَقَافَةِ القُراءِ.

الكَلِمَاتُ المِفتاحيَّةُ: (النَّظْمُ – عَبدُ القَاهِرِ – عبدالمُطَّلِبِ – أَبُومُوسَى)

- **مُقَدِّمَةٌ:**

الحَمدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ عَلَى المَبْعوثِ رَحْمَةً للعَالمَينَ، وعَلَى آلهِ وصَحبهِ وسَلِّمْ تَسلِيمًا كثيرًا إلَى يَومِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ،

فَلَعلَّهُ لَمْ تَشْغَلْ قَضِيَّةٌ بَلَاغِيَّةٌ ونَقدِيَّةٌ في التُّرَاثِ العَرَبِيِّ النَّقديِّ ما شَغَلَتْهُ قَضِيَّةُ النَّظْمِ؛ فقَدْ كانَ للقَضِيَّةِ إرْهاصَاتُها قَبلَ عبدِالقاهِرِ الجُرْجانِيِّ(ت٤٧١هـ) الذي عُرِفَ بِها، وعُرِفَتْ بِهِ؛ فقَدْ تَجَذَّرَتْ قَبْلَهُ فِيمَا يُعْرَفُ بچينالُوچيا المَعْرِفَةِ، دُونَ نُضْجٍ واكتِمَالٍ في فِكْرِ الجَاحِظِ (ت٢٥٥هـ)، والرُّمَّانيِّ والباقلَّانيِّ، وغَيرِهم؛ لِمَا لَهَا مِنْ أَهَمِّيَّةٍ في الرَّدِّ عَلَى الزَّنادِقَةِ والمُلْحِدِينِ، والمُرْجِفِينَ عامَّةً في نَظْمِ القُرآنِ مِن ناحِيَةٍ، وفي فَهْمِ بلَاغةِ اللِّسَانِ العَربيِّ من ناحِيَةٍ أُخرَى؛ وما يتَّصِلُ بِهَا مِن خَصَائِصَ مُمَيزةٍ لِسَبْكِ الكَلَامِ، وضَمِّهِ بالإسنَادِ؛ فيما عَرَّفهُ المُشارُ إليهِم آنفًا بِطَرَائقِ النَّظْمِ مُصطَلِحِينَ بِهِ إلى ما يُشيرُ إلى وسَائلِ العَربِ التي جاءَ عَلَى مثالِها التَّنْزِيلُ الحَكِيمُ في انسِجَامِ الكَلَامِ، وتآلفِ أجْزائِهِ؛ فاكتسبَتْ بذلكَ الأَهَمِيَّةَ القُصْوَى، وغدَتِ القَضِيَّةُ الكُبرَى، لِذَا شَغلَتْ حَيِّزًا وَاسِعًا في الفِكْرِ البَلَاغيِّ والنَّقْدِيِّ القَدِيمِ، بلِ استَمرَّ صَدَاها في هذا الفِكْرِ الحَديثِ بَعدَ تَنافُذِهِ مَعَ الثَّقافاتِ الغَربيَّةِ الوَافِدَةِ، ونظرًا لِمَا تُمَثِّلُهُ هذه القَضيَّةُ مِنْ هذَا الأثَرِ والتَّأثيرِ، رَأَيتُ أَنْ أتوقَّفَ عندَ قِراءَتَينِ مِن أَهَمِّ القِرَاءَاتِ المُؤثِّرة؛ هُمَا قِرَاءَةُ النَّاقِدَينِ البَلَاغِيِّينِ: محمد عبدالمُطَّلب(١٩٣٧م-)، الفائِز بجَائِزةِ المَلِكِ فَيصَل العالَميَّةِ في اللُّغَةِ العربيَّةِ والأدَبِ عام ٢٠١٦م في الجُهُودِ التي بُذِلَتْ في تَحليلِ النَّصِّ الشِّعريِّ العَرَبِيِّ، ومحمد محمد أبي موسى (١٩٣٧م-) الفائِز بجَائِزةِ الدَّوحَةِ للكِتَابِ العربيِّ ٢٠٢٤م؛لِما قدَّمهُ للفكرِ اللُّغَويِّ العَرَبيِّ مِن جُهُودٍ، ومِنَ المَعْلُومِ عِندَ المُشْتَغِلِينَ في حَقْلِ الدِّرَاساتِ البلاغِيَّة أنَّهُما قدِ اعتنَيَا بفِكْرِ عَبدِالقاهِرِ الجُرْجانِيِّ، لاسِيَّما نَظَرِيَّةُ النَّظْمِ، ولا نكُونَ مُغَالِينَ إذَا قُلْنا: إنَّها جُرثُومةُ فِكرِهما النَّقْدِيِّ والبَلَاغِيِّ.

ومن ثَمَّ؛ حَرَصْتُ في هذا البَحثِ أَنْ أَتتبَّعَ جُذورَ تلكَ النَّظَرِيَّةِ وأَصْدَاءَها في قَدِيمِ الدَّرْسِ البلاغِيِّ، للوقُوفِ عَلَى قراءتَيهما من خِلَالِ مُقدِّمتَي كِتَابيهِمَا: مَدْخَل إلَى كِتَابَي عبدالقاهِرِ الجُرجانِيِّ لأبي مُوسَى الصَّادِرِ عامَ ١٩٩٧م، وقَضَايَا الحَدَاثَةِ عِندَ عبدِالقاهِرِ لعبدِالمطَّلِب الصَّادِرِ عامَ ١٩٩٥م، ؛ فالبلَاغِيَّانِ مُتعاصِرَانِ مُتَجايلَانِ تِرْبانِ؛ لكِنَّ ثمَّةَ تَبايُنًا في مُدْخلَاتِ العُلُومِ والمَعَارِفِ التي أَفَادَا منها في فَهْمِ هذِهِ النَّظَرِيَّةِ، وتَطْبيقَاتِهَا، وفي مَوقفِهما مِنَ الدِّرَاساتِ البلَاغِيَّةِ واللِّسَانيَّةِ الحَديثَةِ، التي تلَاقَتْ وفُروعَ النَّظَرِيَّةِ وتَأثِيرَاتِ التَّنَافُذِ المُتباينةِ في اللِّسَانِ العَربيِّ.

ومِن ثَمَّ، تَسْعَى هذه الدِّراسَةُ إلى تَجْذِيرِ النَّظَرِيَّةِ مِنْ نَاحِيَةٍ، وبيَانِ أَصدَائِهَا القدِيمَةِ تَوطِئَةً لِغَايتِها الحَقِيقِيَّةِ في المُوازنَةِ بينَ قِرَاءَتَينِ مُخْتلِفَتَينِ لبلَاغيِّينِ مُتصَدِّرِينَ في قِرَاءَةِ نَظَرِيَّةِ النَّظْمِ وتَطبيقاتِهَا وأَصْدَائِها مِن خِلَالِ عَتَبَتِي مُقدِّمَتَي كِتَابيهِمَا، مِن ناحِيَةٍ أُخرَى، بُغْيَةَ الوقُوفِ عَلَى طَرَائقِ القِراءَةِ للمَورُوثِ اكتفاءً بعَتَبَةِ المُقدِّمَتَينِ مُرَاعَاةً لِطَبيعَةِ البحثِ، وكَيفِيَّةِ استِثمَارِهما في الدَّرْسِ البَلَاغيِّ المُعَاصِرِ، وإنِ اعتَمدَتِ القِراءَةُ، بِطَبيعَتِها، إلى القِرَاءَةِ الاستِبْطَاطِيَّةِ الاستنتاجيَّةِ العَمِيقَةِ للكِتَابَينِ، والاستِئْناسِ بما في مَتْنَيهما، أَحيَانًا؛ لتَعْضِيدِ فِكْرةٍ، أَو تَأْكِيدِها، أَوْ تَوضِيحِها والتَّمْثِيلِ لَهَا.

أَسبَابُ اختِيَارِ مَوضُوعِ البَحثِ:

القِيمَةُ التي إكتَسبتْها نَظَرِيَّةُ النَّظْمِ في الفِكْرِ البَلَاغيِّ والنَّقْدِيِّ، ومَدى إسهاماتِها في الكَشْفِ عن مَزِيَّةٍ من أهمّ مزايا البَلَاغةِ العَرَبِيَّةِ؛ فيمَا أُصطُلِحَ عَلَيهِ بَعدُ بِعِلْمِ النَّصِّ، وعِلْمِ الخِطَابِ، وبخَاصَّةٍ الخِطَابُ القُرآنِيِّ المُعْجِزِ.

- الحَيِّزُ الكَبِيرُ الذي شَغلتْهُ النَّظَرِيَّةُ في الفِكْرِ البَلَاغِيِّ العربيِّ، ووضُوح تَجلِيَّاتها تَنظِيرًا وتَطْبِيقًا.
- قابليَّةُ هذهِ النَّظَرِيَّةِ لتَعَدُّدِ رُؤى النُّقَّادِ والبلَاغِيِّينَ في إبرَازِ أَبْعَادِ لِسَانِنَا، وخَصَائِصِهِ البلَاغيَّةِ.
- الامتِدَاداتُ الأبستمولوچيَّة لنَظَرِيَّةِ النَّظْمِ مع فروعِ الدَّرسِ اللِّسَانِيِّ المُعَاصِرِ.
- قيمةُ قراءتَي البلاغيِّينِ المُخْتَارَينِ: عبدالمُطَّلب، وأبِي مُوسَى لنَظَرِيَّةِ النَّظْمِ.

- **الدِّراسَاتُ السَّابِقَةُ:**

تَعَدَّدَتِ الدِّرَاسَاتُ حَولَ نظَرِيَّةِ النَّظْمِ؛ نَظَرًا لِمَا أَحْدَثَتْهُ مِنْ أَصْدَاءٍ فِي المُدَوَّنَةِ البَلَاغِيَّةِ والنَّقْدِيَّةِ العَرَبِيَّةِ، مَعَ اِختِلَافِ مَشَارِبِها وتَوجُّهاتِها؛ ومِنْ بينِ تلكَ الدِّرَاسَاتِ:

١- نظريَّةُ النَّظْمِ وأَسئِلَةُ التَّاريخِ للدُّكتور أحمد سعد محمد سعد، ضِمنَ بُحُوثِ المُؤتَمَرِ الدَّولِيّ الثَّالِثِ لكليَّةِ دارِ العُلُومِ، جامعة المنيا، مارس ٢٠٠٧م. وانتَهَى في مُحَاوَلتِهِ الإجابَةَ عَلَى تَسَاؤُلِ بَحثِهِ إلى أَنَّ لِلنَّظَرِيَّةِ جُذُورًا مَعْرِفيَّةً، وأُخرَى مَذهَبِيَّةً؛ يَعنِي بها التَّصورَاتِ المَذْهَبِيَّةَ للمَعْرِفةِ بَينَ الأَشَاعِرةِ والمُعْتَزلةِ، وتَأْثيراتِهما عَلَى النَّظريَّةِ.

٢- فاعِلِيَّةُ التَّلَقِّي عِندَ عبد القاهرِ الجُرجانيّ للدكتورة ابتسام أحمد حمدان، نَشرتْهُ في المجلَّد ٢٩، العَدَد ١١٤ (٣٠ يونيو ٢٠٠٩م)، ص ص ١٨٩-٢٠٤. وقدْ تتبعتْ في هذا البَحثِ استراتيجيَّةَ التَّلقِّي لدَى عبدِ القَاهِرِ مُقارَنةً، بِمَا صَنَعَهُ الدَّرْسُ الأُسلُوبيُّ الحديثُ، ونظريَّة التَّلَقِّي في اهتِمَامِهَا بدِرَاسَةِ دَورِ المُتلقِّي في إنتَاجِ النَّصِّ.

٣- نظريَّةُ النَّظْمِ بينَ عبدِالقاهرِ وسَابِقِيهِ، أَحمَد إبراهيم عبدالفتَّاح، رِسالَة مَاجِستير، كُليَّة الآدَابِ، جامعة طنطا، ٢٠٠٠م، تَتبَّعَ فيها البَاحِثُ جُذورَ النَّظَرِيَّةِ عندَ سَابِقِيهِ مِنَ النُّحاةِ والبلَاغِيّينَ والمُتكلِّمِينَ بَينَ اتِّبَاعِ عبدِالقاهرِ وابتداعِهِ حَتَّى نُسِبَتِ النَّظَرِيَّةُ إليهِ دُونَ غَيرِهِ.

٤- قِرَاءَةٌ في نَظَرِيَّةِ النَّظْمِ، لِلبَاحِثينِ: بيان شاكر، ومُهَنَّد محمد، مِجلَّة جامِعةِ الأنْبارِ للعُلُومِ الإسلَاميَّة، قِسمِ اللُّغَةِ العَرَبيَّةِ، المُجلَّدُ الأَوَّل، العَدَدُ الأَوَّل، ٢٠٠٩م. وعَرَضَ البَاحِثَانِ في بحثِهما أسسَ نَظَرِيَّةِ النَّظمِ مُرتكزينِ عَلَى مَسَائِلِ علمِ المَعَاني؛ وَأَهَمُّ ما تَنَاوَلَاهُ: التَّقديمُ والتَّأْخِيرُ، الحَذْفُ، الفُرُوقُ في الخَبَرِ، الفَصْلُ والوَصْلُ....إلخ.

٥- التَّنَاسُبُ ودورهُ في الإعْجازِ القُرآنيّ، للباحثةِ إقبال وافي نَجْم، درَجَة الماجستير، جامِعَة الكُوفَةِ، ١٤٣٠هـ، وقَدْ قَسَّمَتِ الباحِثَةُ رِسَالَتَهَا ثلاثةَ فُصُولٍ: الأَوَّلُ منها لعَلَاقاتِ التَّنَاسُبِ في القُرآنِ الكَرِيمِ وأَنوَاعِها، والثَّاني لمُستَوياتِ التَّنَاسُبِ في سُورِ القُرْآنِ عَلَى صَعِيدِ السُّورَةِ، ثُمَّ السُّورِ، والثَّالِثُ لأَثَرِ التَّنَاسُبِ في الإعْجَازِ القُرآنِيّ لإثباتِ وَحدةِ النَّصِّ، وأثرِها في المتلقِّي.

٦- أَقْلَمَةُ المفَاهِيمِ التَّداوليَّةِ لنظريَّة النَّظمِ مِنَ القَرنِ الثَّالِثِ إلَى القَرْنِ الخَامِسِ الهِجْريّ قَصٌّ للمَسَارَاتِ البلاغيَّةِ والفلسفيَّةِ والنَّحويَّة لمحمَّد أمين البَحريّ، مِجلَّة كُليَّةِ الآدَابِ والعُلُومِ الإنسَانيَّةِ والاجتماعيَّةِ، ع٧، ٢٠١٠م. عَرَضَ فيه الباحِثُ جُهُودَ الجَاحِظِ في الجَانِبِ البلَاغِيّ، كما اهتمَّ بمُناقشَةِ مَفهُومِ النَّظْمِ؛ وهُو مفهومٌ مرادفٌ لِمُصْطَلَحِ التَّخيُّر، أي اختيارَ اللَّفظِ المُلَائِمِ للمَوقفِ، وكذلكَ من مُصْطَلَحاتِ النَّظْمِ لَدَيهِ مُصْطَلَحُ الائتلافِ والسَّبْكِ، الذي اهتمَّ بمناقشتِها في دِرَاستِهِ، ومُحَصِّلَةُ دِراستِهِ أَنَّ النَّظْمَ لا يَنْحَصِرُ في مُصْطَلَحٍ؛ لأَنَّهُ قَابِلٌ للتَّطَوُّرِ والتَّحدِيثِ ليُوَاكِبَ المَفَاهِيمَ البلَاغِيَّةَ الجَدِيدَةَ.

٧- المُبدِعُ والمُتلقِّي عندَ الجُرْجانِيّ، قِراءَةٌ في كِتابِ محمد عبدالمُطَّلبِ "قَضَايَا الحَدَاثَةِ عندَ عبدالقاهرِ الجُرجَانِيّ"، وَلِيد بُوعَدِيلَة، مجلَّةُ قِراءَاتٍ، مِخبَر وَحدَةِ التَّكوينِ والبَحْثِ في نظريَّاتِ القِراءَةِ وَمنَاهِجِهَا، الجَزائِر، العدد٢٠١٠، ٢٠١٢م، ص ص ٣٧٥-٣٩٠.

ويَخْتَلِفُ بَحثِي عَنِ الأبحاثِ السّابقةِ في التّوجُّهِ وعيّنةِ القراءةِ؛كاختلافها مع البَحْثِ الأَخِيرِ الأقربِ لِطَبيعتِهِ فِي كَونِهِ لمْ يَقتَصِرْ عَلَى عَتبَةِ المُقدِّمةِ، أَو يَعْتَمِدْ عَلَيها، وقِرَاءتُنا تقتصرُ عَلَيهَا، وتَعتَمِدُ عليها، كَمَا أَنَّ بَحثَهُ يَكتَفِي بِقِرَاءَةِ عَبدِالمطَّلبِ في عَرضٍ أُفقِيٍّ، وقِراءتُنا تُقارِنُها بقِرَاءَةِ أَبِي مُوسَى.

- **أَهْدَافُ البَحْثِ:**

١- تَتبُّعُ جُذورِ النَّظَرِيَّةِ للوُقُوفِ عَلَى مَعَالِمِهَا وتَنَافُذِ العُلُومِ المُكوّنَةِ لهَا وطَبيعَةِ التَّنَافُذِ.

٢- كيفيَّة هذا التَّنافُذِ في تَأصِيلِ النَّظَرِيَّةِ، وبِخاصَّةٍ البلاغيَّةُ.

٣- الوُقُوفُ عَلَى تَلَقِّي البَلَاغِيينِ المُخْتَارِينِ للنَّظريَّةِ عَلَى اختِلَافِ نَهجَيهِمَا في القِرَاءَةِ، بينَ قِراءَةٍ تُراثيَّةٍ، وأُخرَى حَدَاثيَّةٍ.

- تسَاؤُلاتُ البَحثِ وفَرضيَّاتُهُ:

١- ماهِيَ الجُذُورُ النَّظَرِيَّةُ لنَظريَّةِ النَّظْمِ ؟

٢- ما مَدَى تَنَافُذِ العُلُومِ المُكَوِّنَةِ لهَذِهِ النَّظَريَّةِ؟

٣- كَيفَ تمَّ التَّنَافُذُ بينَ العُلُومِ في تَأصِيلِ النَّظَرِيَّةِ، وبخَاصَّةٍ عُلُومُ البلَاغَةِ العربيَّةِ.

٤- ما طَبِيعَةُ هذَا التَّنَافُذِ بَينَ العُلُومِ المُكَوِّنةِ لَهَا، وما امتداداتُها تنظيرًا وتطبيقًا؟

٥- هِلِ اختلَفَتِ قِراءَاتِ هَذهِ النَّظَرِيَّةِ قَدِيمًا وحَدِيثًا؟

٦- كَيفَ اختَلَفَتِ القِرَاءَاتِ باختِلَافِ التَّوجُّهَاتِ مِن خِلَالِ قِرَاءَتَي: أبِي مُوسَى، وعبدِالمطَّلِبِ ؟

- مَنْهَجُ البَحْثِ وَأَسَالِيبُهُ:

جَمَعْتُ بَينَ المَنْهَجِ السِّيمِيَائِيّ، ونَظَرِيَّةِ القِرَاءَةِ في هَذَا البَحْثِ؛ وجَاءَ المَنْهَجُ السِّيمِيَائِيُّ لتتبُّعِ ما آلتْ إلَيهِ قِرَاءَةُ النَّظَرِيَّةِ قَدِيمًا في المَبحَثِ الأَوَّلِ؛ وقِرَاءَةُ البلَاغِيَّينِ المُختَارَينِ حَدِيثًا في الثَّانِي، كما استَعَنْتُ بنَظَرِيَّةِ القِراءةِ، أيضًا، في الثَّالثِ.

- خُطَّةُ البَحثِ: يتَكَوَّنُ البَحثُ من مُقدِّمَةٍ، وتَمْهِيدٍ، وثَلَاثَةِ مبَاحثَ، أتناولُ في المُقدِّمَةِ ما سلفَ من تعريفٍ بالمَوضُوعِ وأَهمِّيَّتِهِ ومَنْهَجِهِ، والدِّرَاسَاتِ السَّابقَةِ، وأَسئلتِهِ المَطرُوحَةِ.

والتَّمهِيد: أتناولُ فيهِ تعريفَ النَّظَرِيَّةِ لُغَةً واصطِلَاحًا لبناءِ تصوُّراتنا الخاصَّة بها في البَحثِ.

المَبْحَثُ الأوَّل: قِرَاءَاتُ القُدَماءِ للنَّظَرِيَّةِ قبلَ عبدِالقاهرِ وبَعدَهُ، يَتَكوَّنُ مِن ثلاثَةِ مَطَالِبَ؛ هِيَ:

المَطلَبُ الأَوَّلُ: إرْهَاصَاتُ النَّظريَّةِ قبلَ عبدالقاهرِ، والثَّانِي: تَشَكُّلُ النَّظريَّةِ لدَى عبدِ القاهرِ، والثَّالِثُ: تطوُّر النَّظريَّةِ بَعدَ عبدِ القَاهِرِ.

المَبحَثُ الثَّانِي: قِرَاءَاتُ المُحدَثِينَ للنَّظَرِيَّةِ، ويَتَكَوَّنُ مِن مَطلَبَينِ؛ الأوَّلُ قِرَاءَةُ النَّظَرِيَّةِ مِن خِلَالِ تَنَافُذِهَا مَعَ العُلُومِ الأُخرَى، الثَّانِي: قِرَاءَةُ النَّظَرِيَّةِ في ضَوءِ الدِّرَاسَاتِ الأُسلُوبيَّةِ الحَديثَةِ.

والمَبْحَثُ الثَّالِثُ: قِرَاءَتا عبدالمُطلَّبِ وأبِي مُوسَى مِن خِلَالِ مُقدّمَتَيهِما، ويَتَكَوَّنُ من مَطْلَبَينِ؛ الأَوَّلُ قِرَاءَةُ أَبِي مُوسَى التُّراثيَّةِ، والثَّاني قِرَاءَةُ عبدِ المُطّلِبِ الحَدَاثيَّةِ.

الخَاتِمَةُ أَذكُرُ فيها أَبرَزَ النَّتائجِ التي تَوصَّلْتُ إلَيهَا، يَعْقبُها المَصَادِرُ والمَراجِعُ.

- **التَّمهِيـــــــــــدُ : (ماهيَّةُ النَّظَرِيَّةِ)**
- **النَّظَمُ لُغَةً واصطِلَاحًا:**

مِمَّا لاشكَّ فيهِ أنَّ نَظَرِيَّةَ النَّظْمِ قَدِ احتَلَّتْ مَكَانةً عُظْمَى في المُدوَّنَةِ البلَاغيَّةِ التُّراثيَّةِ، مع تبَايُنِ رُؤَى العُلَمَاءِ في تَحْدِيدِ مَاهيَّتِها ورَسْمِ أَبعَادِها، ولَكِنْ ظَلَّتْ قِرَاءَاتُهُم تَحفلُ بهَا عَلَى مُستَوَى الاستِعْمالِ اللُّغَوِيّ، بتقْوِيمِ مَسَارِها والنُّهُوضِ بها، إلَى أَنْ شَكَّلتْ نَظَرِيَّةُ النَّظْمِ قَضِيَّةً كُبْرَى في الدَّرْسِ البَلَاغِيّ العَرَبيّ؛ قَدِيمًا وحَدِيثًا.

- **النَّظْمُ لُغَةً:** تَعاورَتِ المَعَاجِمُ اللُّغَويَّةُ عَلَى دَلَالَةِ النَّظْمِ في الوَعْيِ اللُّغَوِيّ عَلَى التَّأليفِ؛ كَمَا يَنقلُ ابن مَنظُورٍ" النَّظْمُ: التَّأْليفُ، نَظَمَه يَنْظِمُه نَظْماً ونِظاماً ونَظَّمَه فانْتَظَمَ وتَنَظَّمَ. ونَظَمْتُ اللُّؤْلؤَ أَيْ جَمَعْتُهُ فِي السِّلْك، والتَّنْظِيمُ مِثْلُهُ، وَمِنْهُ نَظَمْتُ الشِّعْرَ ونَظَّمْتُهُ، ونَظَمَ الأَمرَ عَلَى المثَلِ. وكلُّ شَيْءٍ قَرَنْتَه بِآخَرَ أَوْ ضَمَمْتَ بَعْضَه إِلَى بَعْضٍ، فَقَدْ نَظَمْتَهُ. والنَّظْمُ: المَنْظُومُ"[١]
- **النَّظْمُ اصطِلَاحًا:** لمْ تَبعدْ دلَالَةُ النَّظْمِ في الوَعْيِ الاصطِلَاحِيّ عَن دَلالتِها اللُّغَويَّةِ؛ فقدِ انتهَى مطلوب في مُعْجَمِهِ الإصطِلَاحيّ أنَّ النَّظْمَ فِكْرَةٌ بَدَأَتْ منذُ أَخَذَ المُعتزلةُ يبحثونَ سرَّ الإعجازِ القرآنِيّ بنظمِهِ العجيبِ، بل يعُودُ لِمَا قَبلَ ذَلكَ حِينَ أَشَارَ ابنُ المُقفَّعِ إلى نَظْمِ الكلَامِ مشبّها ناظمهُ بصاحبِ الفُصُوصِ

[١] - ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ) لسان العرب، دار صادر،ط٣، بيروت، ١٩٩٤م، ٥٧٨/١٢.

الذي وَجدَ ياقُوتًا وزَبرْجَدًا وَمَرْجانًا؛ فَنَظَمَهُ قلَائِدَ وأكاليلَ وسُموطًا؛ فوضَعَ كُلَّ فصٍّ في مَوضِعهِ، وكُلَّ شَبِيهٍ إلَى شَبِيهِهِ[٢].

- **تَلَقِّي عَتَبَةِ المُقدِّمَةِ لَدَى عَبدِ القاهِرِ:**

مِنَ اللَّافتِ أَنَّ عَبْدَ القَاهِرِ نَفْسَهُ بنَى نَظَرِيَّتَهُ مُعتَمِدًا في شَواهِدِ تَعْضِيدِها عَلَى ما وَجَدهُ مِن اتِّسَاقِ الكلَامِ وانسِجَامِهِ عِندَ الجَاحِظِ(ت٢٥٥هـ) المُؤَسِّسِ الأوَّلِ للنَّظَرِيَّةِ في مقدِّماتِ كُتُبِهِ [٣].

ولقد وُجِدَ المُصطَلَحُ ناضِجًا لدَى عبد القَاهِرِ حتَّى قَرنَهُ منذُور بدي سوسير منذُ مَطَالِعِ القَرنِ الماضِي[٤]؛ فالنَّظمُ لَدَى عبدِ القَاهِرِ" خُصُوصِيَّةٌ في نَظْمِ الكَلِمِ، وَضَمِّ بَعْضِها إلى بَعْضٍ عَلَى طَرِيقٍ مَخصُوصَةٍ، أَو عَلَى وُجُوهٍ تَظْهَرُ بها الفَائِدَةُ، أَو ما أَشبَهَ ذَلكَ منَ القَولِ المُجْمَل، كافيًا في مَعْرفتها، ومُغْنياً في العِلْم بها، لكفى مِثْلُه في مَعرِفَةِ الصِّنَاعاتِ كلِّها. فكانَ يَكْفِي في مَعرِفةِ نَسْجِ الدِّيباجِ الكثيرِ التَّصَاوِيرِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ تَرتِيبٌ لِلغَزْلِ عَلَى وَجْهٍ مَخصُوصٍ، وضَمٌّ لطَاقاتِ الأبريسَم بَعْضِها إلَى بَعضٍ عَلَى طُرُقٍ شَتَّى"[٥].

وهَكَذَا حَدَّدَ الجُرْجانيُّ حُدُودَ المُصْطَلَحِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ، وآلِيَّاتِهِ ومَعَالِمِهِ؛ فَصَارَ مَعرُوفًا باالنَّظرِيَّةِ، وهيَ مَقْرُونَةٌ بِهِ.

- **المَبْحَثُ الأوَّلُ: قِراءَاتُ القُدَمَاءِ للنَّظَرِيَّةِ قَبلَ عَبدِالقَاهِرِ وبَعدَهُ:**

لقَدْ ظَهرَتْ نَظَرِيَّةُ النَّظْمِ في شَكْلِ مفاهيمَ ومُصطَلَحاتٍ مُقتَضَبةً جِدًّا لدَى عَدَدٍ مِنَ اللُّغويّينَ والبلَاغِيّينَ والنُّقَّادِ والفلَاسِفَةِ قبلَ الجُرجانيّ، وقد تفاوتتْ الآراءُ تَفَاوُتًا كَبِيرًا في نِسْبَتِها إليهِ.

- **المَطلَبُ الأوَّلُ: إرْهَاصَاتُ النَّظَرِيَّةِ قبلَ عبدِالقاهِرِ:**

رَأَى بَعضُ البَاحثينَ فيما استقْرَؤُوهُ حَولَ جُذُورِ النَّظَرِيَّةِ أَنَّ نَظَرِيَّةَ النَّظْمِ التي نُسِبَتْ لعبدِ القاهرِ لَمْ تَكُنْ مِن بَنَاتِ أَفكَارِهِ؛ بل رأَى أحدُهم أنَّها مِن بَناتِ أَفْكارِ السِّيرافيّ (ت٣٨٦هـ)، وأنَّ" دَلَائلَ الإعْجَازِ" ما هُوَ إلاَّ شَرْحٌ للمُنَاظَرَةِ التي جَرَتْ بين السِّيرَافِيّ والفَيلَسُوفِ المَنطقِيّ مَتَّى بنِ يُونُسَ حَولَ المُفَاضَلَةِ بينَ النَّحْوِ والمَنطِقِ(سنةَ٣٢٦هـ)، ونقَلَها تَلْميذُهُ التَّوحِيدِيُّ في كتابَيْهِ: المُقابسَات"، و"الإمتَاع والمُؤَانَسَة"،وفيها وُلِدَتْ بُذورُ نَظَرِيَّتي " النَّظْمِ "، و"البَيَانِ "اللَّتَينِ عَكَفَ عليهما الجُرجانِيُّ، ومنهما تفرَّعَتْ مَسائِلُ البلَاغَةِ، وتَنَوَّعتْ عُلُومُها الثَّلاثةُ، وكُتِبَتْ حَولَها الشُّروحُ والتَّلْخِيصَاتُ والمُتُونُ، والتَّعْلِيقَاتُ حتَّى الآنَ[٦]، ومِنهُم مَنْ يَنْسُبُها للقَاضِي عبدالجبَّارِ في كتابِهِ المُغنِي،

وأنَّهُ وَضَعَ مفاتيحَها طيِّعَةً للجُرجانيّ[٧]، ومِنهُم مَنْ يَرَى أنَّ عبدَالقاهرِ هُوَ ابْنُ بَجْدَتِها؛ لأنّهُ استطَاعَ أَنْ يبنيَ نَظَرِيَّةً مُتَماسِكَةً في قَوَاعِدِها النَّظَرِيَّةِ وقابلةً للتَّطْبِيقِ[٨].

ومِنهُم مَّن رَدَّ النَّظَرِيَّةَ في إرْهاصَاتِها الأُولَى إلى بِشْرِ بنِ المُعْتَمِرِ(ت٢١٠هـ) في إشارتِهِ الدَّالَّةِ في صَحِيفتِهِ الشَّهِيرَةِ إلَى أَنَّ النَّظْمَ هُوَ وَضْعُ الكَلِمَةِ في مَواضِعِها(

---

٢ - يُرَاجَعُ، مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبوعات المجمع العلمي العراقي،١٩٨٧م،٣٣١/٣.

٣ - يُرَاجَعُ، الجرجاني، أبو بكر(ت٤٧١هـ)، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط١،مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩١م،١٠.

٤ - يُرَاجَعُ، مندور، محمد، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، ط١،دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة،١٩٩٦م،٣٣٤.

٥ - يُرَاجَعُ، الجرجاني، أبو بكر(ت٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط٣، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩٢م، ٣٦.

٦ - يُرَاجَعُ، عبدالرازق، حسن إسماعيل، الكشف عن أصول دلائل الإعجاز بين أبي سعيد السيرافي وعبدالقاهر الجرجانيّ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة، ١٩٧٩م ،٧٩.

٧ - يُرَاجَعُ، مراد، وليد، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣م،٣٩-٤٠.

٨ - يُرَاجَعُ، أبو زيد، سمير، نظرية النظم عند عبد القاهر أول محاولة في العلوم الإنسانية، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد الأول، القاهرة، ديسمبر،٢٠٠٧م،٢٨٧.

[١]، ومنهُم مَن بَدأَهَا بجُهُودِ الجَاحِظِ (٢٥٥هـ) حِينَ عَنونَ كِتَابَهُ فِي إِعْجَازِ القُرْآنِ بـ"نَظْمِ القُرآنِ"؛ إِذْ يَنتَصِرُ فيهِ للفْظِ عَلَى المَعنَى[٢]، وكذا في إشارَاتِهِ إِلَى جَودةِ السَّبكِ، وعَدِّهِ الشِّعْرَ صِنَاعَةً، وضَرْبًا مِنَ النَّسْجِ، وجِنْسًا منَ التَّصْويرِ[٣]؛ فَالنَّظمُ عندهُ يستندُ إلى جَودةِ اختِيارِ اللَّفظِ، وحُسْنِ الصِّياغةِ؛ فربطهُ بنظمِ الشِّعرِ، وبالتَّأليفِ والإشَارَةِ أيضًا[٤]؛ فَجعَلَ النَّظمَ مرادفًا لمُصْطَلحِ الائتِلَافِ مِن حَيثُ تَلَاحُمُ الأَجْزاءِ، وسُهُولَةُ المَخَارِجِ، وإِفرَاغُ الكلَامِ إِفْرَاغًا وَاحِدًا، وسَبكًا وَاحِدًا، فيَجْرِي عَلَى اللِّسَانِ جَرَيانَهُ عَلَى الدِّهَانِ[٥]، وَواضِحٌ أنَّ تحيُّزَهُ للَّفْظِ؛ لأنَّ المَعانِي يَعْرِفُها العَربيُّ والعجميُّ؛ فيُرجِعُ النَّظْمَ إلى انتِظَامِ الأَلفَاظِ، وحُسنِ الصِياغة والتَّأليفِ في الكلَامِ.

ومِنَ القِرَاءَاتِ البَلَاغِيَّة التِي مَهَّدَتْ لنَظَرِيَّةِ النَّظْمِ، وقَرأَها الباحِثُونَ قِرَاءَةَ أبي الحسَن الرُّمَّانِيّ (ت٣٨٦هـ)؛ إِذْ إِنَّ مَفهُومَ البَلَاغةِ لدَيهِ يقِفُ عَلَى ثُنَائِيَّتَينِ مُهِمَّتينِ في نَظْمِ الكَلَامِ والسُّموّ بهِ، ويرى أَنَّ المَعنَى قَدْ يَحْمِلُ وَجْهًا بَلِيغًا وآخَرَ عَيِيًّا، ولا يمكنُ بناءُ البلاغَةِ عَلَى الثَّاني، وكَذَا الأَمْرُ في اللَّفظِ، الذي قَدْ يكُونُ جَيِّدًا أَوْ غَثًّا مُسْتَكْرهًا؛ لذا فَمَفْهُومُ النَّظْمِ الذي يُشِيرُ إِلَيهِ هُوَ إِيصَالُ مَعنَى النَّصِّ إِلَى القَلْبِ في أَبْهَى صُوَرِ اللَّفْظِ[٦]، ومن ذلكَ ما نَجِدُهُ في قِرَاءَةِ الخَطَّابيّ(ت٣٨٨هـ) البَلَاغِيَّةِ التي اِنتَهَتْ إِلَى رَبْطِ النَّظْمِ بإِعْجَازِ القُرآنِ؛ إِذْ يقومُ مَفهُومُهُ لَدَيهِ عَلَى ثَلَاثِ رَكَائِزَ، هِيَ: "اللَّفْظُ الحَامِلُ، والمَعْنَى القَائِمُ، والرِّباطُ الذي لَهُما ناظِمٌ"[٧]؛ فالنَّظْمُ عِندَهُ هُو التَّرابُطُ والائتِلَافُ بينَ وَحدةِ النَّصِّ، أو اللَّفظِ وَمَعْناهُ بِرباطٍ ما يَدْفَعُ إِلَى تَشَكُّلِ النَّصِّ في صُورَةٍ مُتَمَاسِكَةٍ، يَتَمَخَّضُ عَنهُ خِطَابٌ بَلِيغٌ مُتَكَامِلٌ في نَظْمِهِ وتأْلِيفِهِ.

وانتهَتْ قِراءَةُ أبي بكْرٍ الباقِلَّانِيّ (ت٤٠٣هـ) إِلَى جَعْلِ التَّأليفِ مُرَادِفًا للنَّظْمِ، معَ أَنَّهُ لمْ يَتنبهْ لعَلَاقَةِ النَّظْمِ بالنَّحوِ؛ إِذْ جَعَلَ مَفهُومَهُ يَرتَكِزُ عَلَى تَنَاسُبِ الكَلَامِ في بَلَاغَتِهِ، وتَشَابُهِهِ في بَرَاعَةِ الإِيصَالِ؛ وبِنَاءً عَلَى هَذَا المَفْهُومِ مَيَّزَ نَظْمَ القُرْآنِ الكَرِيمِ وإِعْجَازِهِ[٨].

هَكذَا جاءَتْ قِرَاءَاتُ السَّابِقِينَ عَلَى عبدِالقاهرِ تَدُورُ حَولَ الائتِلَافِ، والإِنسِجَامِ، مَعَ تَركِيزِ بَعضِهِم عَلَى اللَّفظِ، وبَعْضِهِم عَلَى المَعنَى وتَوَسُّطِ بَعْضِهِم بينَ اللَّفْظِ والمَعْنَى.

– المَطلَبُ الثَّانِي: تَشَكُّلُ النَّظريَّةِ لدَى عَبدِ القَاهِرِ:

تَنَاوَلَ عبد القَاهرِ نَظَرِيَّة النَّظْمِ بصُورَةٍ جَلِيَّةٍ، وَاضِحَةِ المَعَالِمِ عَمَّا كَانَتْ عَلَيهِ قَبْلَهُ من إِطلَاقِ بَعضِ المُصْطَلَحَاتِ؛ كالائتِلَافِ، والتَّجَانُسِ لَدَى سَابِقِيهِ؛ إِذْ مَزَجَ فيها بَينَ عُلُومٍ شَتَّى؛ كَالبَلَاغَةِ والنَّقْدِ والنَّحْوِ والمَنْطِقِ والرُّؤْيَة الفَلْسَفِيَّةِ والكَلَاميَّةِ، وإفادَتِهِ مِنْ دِرَاسَاتِ سَابِقِيهِ، مِمَّا كانَ لَهُ دورٌ كبيرٌ في تأسيسِ النَّظريَّةِ، والسَّعْيِ إِلَى تَأصِيلِهَا في كِتَابَيهِ: "دَلائِلِ الإِعْجازِ"، و"أَسْرَار البلَاغَةِ"؛ حتَّى عدُّوهُ

---

١ - **يُرَاجَعُ**، زاده، مهين حاجى، رقية صادقي، نيري، رقية صادقي، نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجانيّ، قراءة حديثة، مجلة الباحث، مجلد٢، العدد ٥، أغسطس 2013م،٥٥.

٢ - يُرَاجَعُ، عبدالفتَّاح، أحمد إبراهيم، نظرية النظم بين عبدالقاهر وسَابقِيهِ، رسالة ماجستير، كُلِيَّة الآدابِ، جامعة طنطا، ٢٠٠٠م،١٢١.

٣ - يُرَاجَعُ، الجاحظ(ت٢٥٥هـ)، عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ، ٦٧/٣.

٤ - يُرَاجَعُ، الأمين، محمد، أقلمة المفاهيم التداولية لنظرية النظم (من القرن الثَّالث إلى القرن الخامس الهجريّ)، قصّ للمسارات البلاغيَّة والفلسفيَّة والنَّحويَّة، مجلَّة كليَّة الآداب والعلُوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، عدد٧، ٢٠١١م، ٩.

٥ - يُرَاجَعُ، الجاحظ(ت٢٥٥هـ)، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ، ٦٧/١.

٦ - يُرَاجَعُ، الرماني، أبو الحسن، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف، محمد زغلول، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦م،٧٥/١-٧٦.

٧ - يُرَاجَعُ، الخطابي، أبو سليمان، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول، دار المعارف، مصر، ج١، ط٣، ١٩٧٦م، ٢٦-٢٧.

٨ - يُرَاجَعُ، الباقلاني، أبو بكر، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط٧، ٢٠١٠م، ٣٦.

صاحبَ هَذهِ النَّظريَّةِ[١]؛ لما أَبْدَاهُ من اهتِمَامٍ بِعَلَاقَةِ الكلمةِ بالأُخْرَى التي تُشكِّلُ في نهايَةِ الأَمرِ نَصًّا يَخْضَعُ لقَوَاعِدِ النَّحْوِ والإعرَابِ، ويُراعي نفسيَّةَ المُتلقِّي، وقُدرتَهُ عَلَى الفَهْمِ، ومُرادَ المُتكَلِّمِ،عَلَى أَنْ يَخْلُوَ مِنَ الخَطَأِ التَّركِيبِيِّ والنَّحْوِيِّ[٢]، واهتمَّ بِدَورِ الخَيَالِ في تَصَوُّرِ بِنْيَةِ التَّراكيبِ، وعَلَاقتِهِ الوَطِيدَةِ في توظيفِ الدَّوَالِ بِمَدلُولَاتِها وَفقًا للتَّصَوُّرِ الذِّهْنيِّ للمَعَاني التي تُعِينُ عَلَى إنتاجِ النَّصِّ، فلَقدِ اتَّسَعَتِ النَّظريَّةِ لتُحلِّقَ في آفاقِ النَّصِّ وفَهمِ سِياقاتِهِ، وتَوظيفِها لِخِدمَتِهِ، فالنَّظمُ؛ كَما يَنتَهِي عِندَهُ حِرفَةٌ، لا يَتَمكَّنُ مِنها إلَّا المُتَمرِّسُ عَلَيهَا، تُشْبِهُ صِانِعِ الدِّيبَاجِ، حينَ يُكَوِّنُ تَصَوُّرًا مُسْبقًا لِمَا يُخَطِّطُ لِلقِيَامِ بِهِ، معَ توظِيفِهِ خَيَالَهُ لِمَا تَغَيَّاهُ، فَيَأتِي نَسِيجُهُ مُوَافقًا لتَصَوُّرِهِ القَبلِيِّ؛ لذا يَجِبُ أَنْ يُبَادِرَ بمَعرفةِ أَسرارِ النَّسْجِ للدِّيباجِ وتَرتيبِ الغَزْلِ عَلَى وجهٍ ما، وضَمِّ خُيُوطِ الحَرِيرِ المُنمَّقِ بِطَرَائقَ شَتَّى وُصُولًا للصُّورَةِ المَرسُومَةِ في الذِّهْنِ[٣].

ونراهُ يتَّخِذُ منَ الألفاظِ أدِلَّةً عَلَى المَعَانِي[٤]؛ لذا ركَّزَ عَلَى ضَرُورَةِ الاهتِمامِ بضُروبِ المجازِ والإيجازِ عَلَى الزَّخَارِفِ وتَحسِينِ الأَلْفَاظِ[٥]؛ فهو يُفرِّقُ بَينَ أُسلُوبينِ في اللُّغةِ، أحَدُهما ظاهِرٌ في لَفظِهِ، والآخرُ خفيٌّ يفهمُ من مجازاتِهِ وبنياتِهِ الدقيقةِ؛ وُصُولًا إلى بُغيَتِهِ التي يَرمِي؛ لذا نراهُ يتَدَرَّجُ في نظريَّتِهِ مِن عَلمٍ إلى آخَر في قراءَةِ النَّصِّ عَلَى اختلافِ الشُّعراءِ ومَشَارِبِهم، مُتأنِيًا فيما يوردهُ، وصَابرًا عَلَى جَمْعِ دقَائِقِ العُلُومِ؛ فَيقُولُ: "احتَجْتُ إلى صَبْرٍ عَلَى التَّأَمُّلِ، ومُواظَبَةٍ عَلَى التَّدبُّرِ" [٦]؛ ليَعكُفَ عَلَى دِرَاسَةِ المَعَانِي القَرِيبَةِ والبَعِيدَةِ، بَاحِثًا عنْ دَلَالَاتِها، وما تُؤدِّيهِ من أثرٍ في المتلقّين؛ لِذا أَصْدَرَ أَحكَامَهُ المَنهَجِيَّةَ دالَّةً عَلَى أَبْعادٍ علميَّةٍ دَقِيقةٍ تنطلقُ من نظريَّتِهِ دونَ هَوًى أو تحيُّزٍ لشاعرٍ دونَ آخرَ مُرتكزًا عَلَى التَّصْويرِ والصِّياغَةِ التَّركيبيَّةِ؛ كما نَجِدُ في تَمثيلِهِ لاستِخدامِ الطَّائيِّينِ لفظَ الأَخْدَعِ، وما نجدُهُ من سُهُولَةٍ ورَوعَةٍ وبَهجةٍ وإيناسٍ لَدَى البُحتُريِّ والثِّقلِ والتَّنغِيصِ والتَّكديرِ لَدَى أبي تَمَّامٍ[٧]؛ فيُشْعِرُكَ بِمَدَى عِنايتِهِ بالعُلُومِ التي تستندُ عليها نظريَّةُ النَّظمِ؛ فيتَّضِحُ أَنَّ لدَيهِ رُؤيَةً عَمِيقةً لمَفهُومِ النَّظمِ وأَبْعادِهِ وأُطُرِهِ، ومعَ أَنَّ النَّصَّ القُرآنِيَّ مُرادُهُ ومُبتَغَاهُ فَإنَّهُ كَثِيرًا جدًّا ما يَستَنِدُ إلى النَّصِّ الشِّعريِّ في دِرَاستِهِ؛ حَتَّى لَكأَنَّ عُنْوَانَهُ لَمْ يَدُلّ دلالةً دقيقَةً عَلَى متنِ كتابِهِ، ولعلَّ هذه الرُّؤية تعودُ إلَى نَظَرَتِهِ للشِّعرِ؛ بِوَصفِهِ دِيوانَ العَرَبِ، ومَصدرًا أوَّلٍ للفَصَاحةِ من ناحيةٍ، والبلَاغةِ التي تقُومُ الحُجَّةُ بِها عَلَى إعجازِ القُرآنِ في نَظْمِهِ من ناحيةٍ أُخرَى[٨].

لقدِ اتَّخذَ عبدُالقاهرِ منَ النَّظْمِ عِلمًا مُنفتحًا عَلَى العُلُومِ الأُخرى، فوُجُودُ رُؤيةٍ واضِحةٍ لديهِ دَفعَهُ إلى تَحدِيدِ ما يَجِبُ دَرْسُهُ، وفقَ هدفٍ دَقِيقٍ وَاضِحٍ؛ إذْ بدأَ بفكرةِ النَّظمِ لدَى العُلماءِ السَّابقينَ، وانطَلَقَ إلَى أَنَّ تركيبَ النَّصّ تَركيبًا ذَا دَلالاتٍ واضِحَةٍ يَجِبُ أن تَشتَمِلَ عَلَى عُلُومِ البلَاغةِ؛ لذا فإنَّ تَحقُّقَ الرُّؤيةِ منَ الأُمورِ المُهِمَّةِ في تَصَوُّرِ المَنْهَجِ العِلْمِيِّ للنَّظَرِيَّةِ وتَحدِيدِهِ؛ لذا يَقُولُ:".. فأَجِدُ بَعْضَ ذلكَ كالرَّمْزِ والإيمَاءِ، والإشَارَةِ في خَفَاءٍ، وبَعضُهُ عَنْ مكَانِ الخَبِيءِ ليُطْلَبَ، ومَوضِعِ الدَّفينِ ليُبحثَ عَنهُ فيُخْرَجَ، وكَمَا يَفتَحُ لَكَ الطَّرِيقُ إلى المَطْلُوبِ لتَسلُكَهُ..." [٩].

ومن ثَمَّ جاءَتْ فُصُولُ الدَّلائلِ مُترابِطَةً انتَقَلَ فيها مِن تَحْقِيقِ القَولِ في البَلَاغةِ والفَصَاحَةِ، ومسائلِ البيَانِ من مَجَازٍ، وكِنَايةٍ، واستِعارةٍ، وتَشْبِيهٍ، وسَعَى للتَّفْرِيقِ بَينَ التَّشْبِيهِ في صُورَتِهِ الاستعاريَّةِ، وصُورتِهِ عَلَى التَّمْثِيلِ الحَقِيقِيِّ لهُ، ومَدَى التَّفَاوُتِ بَينَ الكِنَايةِ والاستِعَارَةِ والتَّمثِيلِ، ثُمَّ أتَى بِأَبوَابٍ نَحْوِيَّةٍ

---

١ - يُرَاجَعُ، الصعيدي، عبد المتعال، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٠هـ،١/ ٣.

٢ - يُرَاجَعُ، الجرجانيّ، دلائل الإعجاز،٣٣.

٣ - يُرَاجَعُ، السَّابقُ،٣٥-٣٧.

٤ - يُرَاجَعُ، الجرجانيّ، دلائل الإعجاز،٥٢٢.

٥ - يُرَاجَعُ، السَّابقُ،٥٢٤.

٦ - السَّابقُ،٣٧.

٧ - السَّابقُ ،٤٧.

٨ - السَّابقُ،٨-٩.

٩ - السَّابقُ ،٣٤.

ذاتِ عَلَاقةٍ بعِلْمِ المعَانِي؛ لِيَسهُلَ عليهِ تَوضِيحُ علمِ النَّظْمِ وتَفسِيرِهِ، وما يَستَلْزِمُهُ من تَقْدِيمٍ وتَأخِيرٍ، وتقديمٍ للنَّكرةِ، والذِّكْرِ والحَذْفِ، والفُرُوقِ في الخَبَرِ، والفصْلِ والوصْلِ...إلخ.

وتكشفُ هذهِ التَّقسِيماتُ عنْ رُؤيةٍ ثاقِبةٍ لمَوضُوعِهِ، ووُضُوحِ النَّظَرِيَّةِ لدَيهِ، ومُحَاوَلَةِ تبسيطِها للدَّارسِينَ في فُصُولٍ وأَقْسامٍ تَخدمُ مَرامَهم، وعَرضِها بشَكْلٍ مُفصَّلٍ دَقِيقٍ؛ لِذَا فإنَّ الهَدَفَ الذي يَصبُو إليهِ الجُرجَانيُّ يتَّضِحُ مِن خِلَالِ تَحْقِيقِ الوَعْيِ الأكبرِ للجُمُوعِ العِلْمِيَّةِ، لِمَا تنَاوَلَهُ مِن جُهدٍ في كتابِهِ، ومُحاوَلَةِ تَوضيحِ العلُومِ، وتَبْسِيطِها للمُتلقِّينَ.

- **المَبْحَثُ الثَّالِثُ: تطوُّر النَّظَريَّةِ بَعدَ عَبدِ القَاهِرِ:**

فَتَحَتْ جُهُودُ عَبدِ القاهِرِ في النَّظْمِ المَجَالَ التَّطْبيقيَّ أَمامَ الدَّارسِينَ مِن بَعدِهِ، وأَخذُوا يفردونَ القولَ فيهِ؛ فكَانَتْ أَقْرَبَ الجُهودِ جُهُودُ الزَّمَخشَرِيِّ(ت٥٣٨ه) في كتابِهِ "الكَشَّافِ"؛ إذْ فَسَّرَ السُّورَ القُرآنيَّةَ وَفْقَ نَظريَّةِ عبدِ القاهرِ، وكَشَفَ عَن مَواطنِ الإعْجَازِ فيهَا؛ فَنَرَاهُ يُؤَكِّدُ أَنَّ "مِنْ حَقِّ مُفسِّرِ كِتَابِ اللَّهِ الباهِرِ وكَلَامِهِ المعْجِزِ، أنْ يَتَعَاهَدَ في مَذاهِبِهِ بقَاءَ النَّظْمِ عَلَى حُسْنِهِ، والبلَاغَةِ عَلَى كَمَالِهَا، وما وقَعَ بِهِ التَّحَدِّي سَلِيمًا منَ القادِحِ، فإذَا لمْ يتعاهَدْ أَوْضَاعَ اللُّغَةِ؛ فَهُو مِنْ تَعاهُدِ النَّظْمِ والبَلَاغَةِ عَلَى مَراحِلَ"(١).

وفي قِرَاءَةِ السَّكَّاكِيِّ(ت٥٥٥ه) لِنَظَرِيَّةِ النَّظْمِ نَجِدُهُ يَربِطُها بِعِلْمَيِ: المَعانِي والبيانِ؛ إذِ اتَّكأَ في عِلْمِ المَعانِي عَلَى مُراعَاةِ حَالِ المُتلَقِّي حِينَ عَرَّفهُ بأَنَّهُ مُطَابقَةُ الكَلَامِ، وَفْقَ قَواعِدِ النَّحْوِ، لمُقْتَضَى حَالِ المُتَكَلِّمِ والمُخَاطَبِ؛ ليُخرجَ دَلَالَاتِ الخِطَابِ مِنْ كَونِهِ أَصْوَاتًا إلى قِيَمٍ دَلَالِيَّةٍ تَكشِفُ مَقاصِدَ المُتَكَلِّمِ، وتُنبِئُ الفَطِنَ اللَّبِيبَ عَنْ مَخبُوئِهِ(٢)، كما أَنَّهُ تَجَاوَزَ النِّشَاطَ اللُّغَويَّ والبلَاغيَّ الشَّخْصِيَّ للمُتَكَلِّمِ إلى ثقافتِهِ بالدُّرْبَةِ عَلَى طَرَائِقِ نَظْمِ الأُدَبَاءِ والبُلَغَاءِ؛ لِكَونِهِم ذَوي الفِطَرِ السَّليمَةِ؛ أي التَّمرُّس "بتراكيبِ الكلَامِ التَّراكيبَ الصَّادِرَةَ عَمَّنْ لَهُ فَضْلُ تَمْيِيزٍ ومَعْرِفَةٍ، وهيَ تراكيبُ البُلغَاءِ، لا الصَّادرَةُ عمَّنْ سِواهُم"(٣)، كما أنَّ تمرُّسَهُ بِعِلْمِ البَيَانِ يُوقِفُ الأَدِيبَ عَلَى الطُّرقِ المُختَلَفَةِ، ليحترزَ من الوقوعِ في الخَطَأِ في مُطَابقَةِ نَظْمِهِ لإتْمامِ مُرادِ خِطَابِهِ منهُ(٤)؛ وهُو بذلكَ يَدمِجُ عِلْمَيِ البيَانِ والمعاني دُونَ فَصْلٍ لضَمَانِ نَجاعَةِ الخطابِ ونَجَاحِ عمليَّةِ التَّواصُلِ في أَبهَى صُورَةٍ.

ومن ثَمَّ؛ فَقَدْ غَدَا تَنَاقُذُ العُلُومِ سِمَةً لعُلُومِ العَرَبيَّةِ لإثمارِها بما يَعُودُ بالنَّفعِ من ناحِيةٍ، ولإكسَابها المُرونةَ المُستمرَّةَ لمُعالَجَةِ ما يَطرَأُ بِفِعْلِ مُستَجدَّاتِ الحَيَاةِ؛ لِذَا رأَى اللَّاحِقُون ضَرُورةَ مُراعَاةِ حَرَكَةِ الزَّمَنِ في مُكوِّناتِ النَّظْمِ؛ كما نَجِدُ القَزْوِينِيَّ(ت٧٣٩هـ) يَلفِتُ النَّظَرَ إلَى ذَلِكَ بالإيماءِ الذي هُو مُكوِّنٌ أَسَاسٌ في نَظَرِيَّةِ عبدِالقاهِرِ" واعلَمْ أَنَّهُ لَيسَ كُلُّ شَيءٍ يَصْلُحُ لأنْ تَتعَاطَى فيهِ المَجَازَ بسهُولَةٍ، بلْ تَجِدُكَ في كَثِيرٍ مِنَ الأمْرِ تَحْتاجُ إلَى أنْ تُهيئَ الشَّيءَ، وتُصلِحَهُ لهُ بِشَيءٍ تَتوخَّاه في النَّظْمِ" (٥)؛ فَقَدِ استَثْمَرَ القَزْوينيُّ مَفْهُومَ مُطابَقَةِ الكَلَامِ لمُقتَضَى الحَالِ؛ إذْ نَراهُ في"الإيضَاحِ" يُؤكِّدُ عَلَى أَنَّ هَدَفَ النَّظْمِ هُوَ الوَفاءُ بغَرَضٍ بلَاغيٍّ يُفهمُ ضِمنًا منَ السِّياقِ، وما يُحيطُ بِهِ مِنَ القَرَائِنِ(٦)؛ فيُركِّزُ قِرَاءَتَهُ للنَّظَرِيَّةِ عَلَى المَقَاصِدِ التي يرمِي إليها المُتكلِّم في خطابِهِ، كما يُرَاعِي في ذَلِكَ مَوقِفَ المُتلقِّينَ لَهُ، فَقِرَاءَتهُ تَشِي إلَى مُرَاعَاتِهِ المُنَاسَبَةَ الضَّرُوريَّةَ للخِطَابِ، وكَيفَ يَنتظِمُ لتحقيقِ المَقَاصِدِ المُرَادَةِ مَعَ مُرَاعَاةِ السِّيَاقِ الخَارِجيِّ لَهُ.

---

١ - الزَّمخشريّ(ت ٥٣٨هـ)، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٤٠٧هـ،٦٨/١.

٢ - يُرَاجَعُ، السَّكَّاكِيّ(ت٥٥٥هـ)، ابن أبي بكر، مفتاح العلوم، تعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ، ٢٠٤.

٣ - السَّابقُ، ١٦١.

٤ - يُرَاجَعُ، السَّابقُ، ١٦٢.

٥ - القزويني(ت٧٣٩هـ)، الخطيب، الإيضاح في عُلُومِ البلَاغَةِ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م،37.

٦ - يُرَاجَعُ، السَّابقُ،٤.

وهَكَذَا ظلَّت قراءاتُ البلَاغيّينَ، يُكمِلُ بَعضُها بَعضًا حتَّى نَصِلَ إلَى القَرنِ العَاشِر؛ فَنَجِدُ ابنَ كَمَال باشا(ت٩٤٠هـ) يَقتربُ في قِرَاءَتِهِ نَظَريَّةَ النَّظمِ إلى تَألُّفِ مُستَوَياتِ البِنيَةِ مِن صَوتٍ وصَرفٍ وتركيبٍ ودلالَةٍ[١]؛ ممَّا يَقتَرِبُ مِن مَفاهيمِ المُحدثينَ للأُسْلُوبيَّةِ واللِّسَانيَّاتِ الحَديثَةِ؛ ممَّا يَلزِمُنا دِراستُها.

- **المَبْحَثُ الثَّانِي: قِرَاءَاتُ المُحْدَثِينَ للنَّظَرِيَّةِ:**

لَعَلَّ الأُسلُوبيَّةَ أقربُ النَّظريَّاتِ الحَديثةِ صِلَةً بنَظَرِيَّةِ النَّظْمِ؛ حَتَّى قَرَنَ بَعضُ الباحِثينَ بَينَ النَّظَرِيّتينِ؛ بوَصْفِهِما نَظَرِيّتَينِ مُتشَابِهَتينِ، بَينَهُما تَقَاطُعَاتٌ ورُؤًى بَينِيَّةٌ حَتَّى مَيَّزَ بينَ الأُسلُوبيَّتينِ: الجُرجانيَّةِ، والحَديثَةِ بكَونِ الأُولَى قَدِيمَةً عَرَبيَّةً، والثَّانِيَةِ حَدِيثَةً غَربيَّةً[٢]، وهُوَ، بِذَلِكَ، يَرُدُّ عَلَى ما أَثَارَهُ بعضُ المُحدَثِينَ مِن عَدَمِ مُرَاعَاةِ النَّظَرِيَّةِ الجُرجانيَّةِ للبِنْيَةِ العَمِيقَةِ للنَّصِّ، وأنَّها اكتفتْ بظَاهِرِ النّصِّ لا غَورِهِ، ووقوفِها عِندَ حُدُودِ اللَّفْظِ لا الجُمْلَةِ، وإهمالِهَا السّيَاقَ، والحالَاتِ النَّفسِيَّةَ، والمَعنَى الكُلِّيّ للنَّصِّ، وأنَّها مِعيَارِيَّةٌ تَقييمِيَّةٌ تَقوِيمِيَّةٌ[٣]، ولَعَلَّ في هذَا البَحْثِ رَدًّا واضِحًا بِمَا قدَّمتُهُ آنفًا من عَرضٍ لِقِرَاءَاتِ البَلَاغيّينَ بَعدَ الجُرْجانِيّ لنَظَرِيَّةِ النَّظْمِ استنطَقُوا البنيَةَ العَمِيقَةَ وراعُوا سياقَ الخِطابِ وزاوجُوا بين العُلُومِ لِفَهمِ مُرَادِهِ وحالِ المُتَلَقِّي.

- **المَطْلَبُ الأوَّلُ قِرَاءَةُ النَّظَرِيَّةِ مِن خِلَالِ تَنَافُذِهَا مَعَ العُلُومِ الأُخرَى**

مِن هذَا التَّنافُذِ بينَ نَظَرِيَّةِ النَّظْمِ والعُلُومِ الأُخرى ما نَرَاهُ مِن ارتِبَاطِ ظُهُورِ عِلمِ التَّناسُبِ؛ بوَصفِهِ عِلْمًا مُهتمًّا بالإعْجَازِ القُرآنِيَ، ودِراسَةِ المُناسَباتِ التي بُنِيَتْ عَلَى أَسَاسِهَا الأَلفَاظُ والتَّرَاكِيبُ في مَسَارَاتِها المُحدَّدَةِ، وإنْ تَعَدَّدَتْ مَوضُوعاتُها، وتَوجُّهُ مقاصِدَها نَحوَ غَايَاتٍ وَاضِحَةٍ، وقدْ تطوَّرَ حَديثًا ليُصبِحَ عِلْمًا لا يَنفَصِلُ في دِرَاستِهِ عَنِ البلاغَةِ وعلومها؛ ومِنْ أَهَمِّ مباحثِهِ الذي يلتقِي في إطارِهِ بشَكلٍ دقيقٍ مع نَظَرِيَّةِ النَّظمِ مَبحَثُ اللَّفْظِ والمَعنَى، الذي عُنِيَتْ بِهِ نَظَرِيَّةُ الجُرجَانِيّ؛ إذْ إنَّ مِن مَهَامِّ النَّظمِ، ومِنْ أَخَصِّ خصائِصِهِ العِنَايةُ بِبنَاءِ المُفرَدَةِ بما يَتَسَاوقُ مَعَ جَاراتِهَا بِناءً مُحكَمًا؛ لتؤدِّيَ مُرَادَ صَاحِبِها في سِياقَاتِهَا بِمَا لا تُؤدِّيهِ أُخرَى، وهذا التَّلاحُمُ بَينَ اللَّفْظِ والمَعنَى تُجليهِ بَلَاغَةُ السِّيَاقِ، فمِنْ دَلَائِلِ إعجَازِ القُرآنِ إحْكَامُ نَظْمِهِ وتَركِيبِهِ ومُناسبَةُ الأَلفَاظِ للمَقَامِ المَوضُوعَةِ فيهِ، الدَّالَّةِ عَلَى المَعَانِي الدَّقيقَةِ لَهَا؛ ممَّا جَعَلَ القُرْآنَ تَرْكِيبًا يُعْجِزُ عَنِ الإتيَانِ بِمِثْلِهِ، فَهُوَ مُعْجِزٌ في تَركيبِهِ، لا في مَعَانيهِ، وأَغراضِهِ، ومَقاصِدِهِ فَحَسْبُ؛ فالمُناسَبَةُ هِيَ"عَلَاقَةُ تَنَاسُبٍ وتَنَاسُلٍ بَينَ آياتِ السُّورَةِ الوَاحِدَةِ، وأنَّ كُلَّ آيَةٍ ليستْ بِمَقْطُوعَةِ الرَّحِمِ مِنْ سَابقتِهَا ولاحِقتِهَا"[٤]؛ وهي بهذا المَفهُومِ أَلصَقُ بِمَفهُومِ النَّظْمِ الجُرْجانِيّ

ومِنْ ثَمَّ؛ اتَّجَهَ التَّناسُبُ نَحوَ تألُّفِ الأَلفَاظِ والمَعَانِي؛ ممَّا أَدَّى إلَى تَوجِيهِ الاهتِمَامِ إلى وَحدَةِ النَّسَقِ المَعنَويّ الذي يَجمَعُ بينَ سِيَاقِ الآيةِ الوَاحِدَةِ وسِياقاتِها الأُخْرَى؛ سَوَاءٌ أَكَانَتْ قَرِيبَةً، أم بَعِيدةً[٥] ودِرَاسَةُ العَلَاقةِ بينَ مَوضُوعِ النَّصِّ ومقَاطِعِهِ وخَواتِمِهِ، كَمَا وَجَّهتْ عنايَتَها بالجانبِ اللَّفْظِيّ ومدَى مُلَاءَمتِها لموضُوعِ الخَطابِ، كما عُنِيَتْ بالجانِبِ الصَّوتِيّ في الخِطَابِ؛ لِيَغدُوَ عِلْمُ المُناسَبَةِ مِن الإعجَازِ القرآنِيّ

---

[١] - يُرَاجَعُ، قنيبي، حامد صادق، دراسات عربية في التراث والمعاصرة، مكتبة المتنبي، الدمام، ١٤٢٢هـ،٤٩.

[٢]- يُرَاجَعُ، زهرة، بوضروة، الأسلوبية العربية، والأسلوبية الغَرْبيَّة: التّقاطُعاتُ المرجعيَّة والرُّؤَى البينيَّة، مجلّة التَّحبير، مجلّد ٤، العَدَد ١، الجزائر، مارس ٢٠٢٢م، ٣٨.

[٣]- يُرَاجَعُ، عتيق، عمر عبدالهادي، علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة، دار أُسامَةَ للنَّشْرِ والتَوزِيعِ، عمان، ٢٠١٢م، ٣٠٦.

٤- سعد، محمود توفيق، الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن، شبين الكوم، جميع الحقوق محفوظة للمؤلف،١٤٢٤هـ،٢٥٢.

٥- يُرَاجَعُ، الطوبجي، زهراء، النظم المعنوي والتركيبي لسورة البقرة: دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة، مجلة المنهل، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، م٣٨، ع٣، ٢٠١١م، ٢.

لوقُوفِهِ عَلَى الوَحْدَةِ المَوضُوعِيَّةِ للآياتِ، والسُّورِ، ومَعرفةِ العَلَاقاتِ التي تربطُ الآياتِ بِبَعْضِهَا، والسُّورِ بِبَعْضِهَا، أَيضًا[١].

ومن ثمَّ؛ فقد ربطَ النُّقَّادُ والبلاغيُّون بينَ نَظَريَّةِ النَّظْمِ وعِلْمِ التَّناسُبِ؛ لأنَّهُما معنيَّانِ بالتَّرابُطِ والانتظامِ بينَ الدَّالِّ ومدلُولِهِ في بنًى صُغْرَى تَسْتَعينُ بالجُمْلَةِ، وتَحديدِ استِعمالَاتِ اللَّفظَةِ وعَلَاقَاتِها بالأَلفَاظِ وتَآزرِها في وَحدةٍ لُغَويَّةٍ في تَحديدِ مَدلُولاتِها في وَحدَاتٍ أَعَمَّ وأَشمَلَ[٢].

وهَكَذَا تَنَافذَتِ النَّظَرِيَّةُ مَعَ عِلْمِ التَّناسُبِ؛ لتسدَّ ثَغرةً في الاهتِمَامِ بمَنَاطِ الإعْجازِ القُرآنيّ من خِلَالِ خِطابِهِ وسياقاتِهِ؛ وهو ما أُسِّستِ النَّظَرِيَّةُ مِن أَجلِهِ بدَايةً؛ كما نَلحَظُ من عُنْوَانِ كتابِهِ.

المَطْلَبُ الثَّاني: قِرَاءَةُ النَّظَرِيَّةِ في ضَوءِ الدِّراسَاتِ الأُسْلُوبيَّةِ الحَديثَةِ:

انقَسَمَ النُّقَّادُ والبَلَاغِيُّونَ المُحْدَثُونَ فريقينِ في قِراءاتِهِم نظريَّةَ النَّظمِ؛ أَحَدُهُما يُزْري بها؛ كما تَقدَّمَ، كما يَنْعتُها بعضُهم بالفَصْلِ بينَ الشَّكلِ والمَضمُونِ، في حينِ تَنْأَى الأُسلوبيَّةُ الحديثةُ عَن هذا العيبِ[٣]، والثَّاني يشيدُ بها ويراها منافسةً للأسلوبيَّةِ الغربيَّةِ بل يراها النّاقدُ عبدالرَّحيم الكرديُّ أعمّ وأشملَ؛ لأَنَّ عبدَ القاهِرِ رَأَى النَّظمَ أعمَّ منَ الأُسلُوبِ، وأَشملُ طريقةً في "أداءِ الكلَامِ للمعاني، أَمَّا الأُسلُوبُ فَهُوَ الطَّريقةُ الخَاصَّةُ أَوِ الذَّاتيَّةُ التي يستخدمُها كلُّ متحدِّثٍ، أو كاتبٍ، أو شاعرٍ، والتي تبدُو في تَركيبِ كَلَامِهِ، وبِذَلكَ يَكُونُ عبدُ القاهِرِ قدْ سَبقَ بُوقُون في فَهمِهِ للأُسلُوبِ عَلَى أَنَّهُ الملامحُ الذَّاتيَّةُ التي تَبدُو في نَظْمِ الكَلَامِ"[٤].

ويَرَى شُكْري عيَّادٍ في نَظَريَّةِ النَّظْمِ، أَيضًا، تَطَابُقًا مَفهُومِيًّا بينَ تَصَوُّرَاتِ كُلٍّ مِنْ عَبدِالقاهِرِ ودِي سُوسير، ومُنطَلَقَاتِهِما، وتَعريفَاتِهِما، وبِخَاصَّةٍ حينَ نَضَمُّ إليها قراءَةُ البلَاغيّينَ اللَّاحِقينَ كالزّمخشريّ والسَّكَّاكِيّ والخَطِيبِ وغيرِهم مِمَّنْ أَكملُوا بقراءاتِهم وأَضَافُوا وأَكْمَلُوا تَنْظيرًا وتَطْبيقًا[٥]؛ لِذَا سَدُّوا خَلَلَ التَّطْبيقِ عَلَى الإعْجَازِ القُرْآنيّ فيمَا سَدُّوا؛ وهُو ما يُوجِبُ علينَا التَّمثيلُ لهُ مِنَ البَلَاغِيّينَ المُحْدَثِينَ.

لَقَدْ أَضْحَتْ نَظريَّةُ النَّظْمِ التي عُنِيَ بها الجُرجانِيُّ للاستِعَانَةِ عَن مَواضِعِ الإعجازِ للقُرآنِ، مِن أهَمِّ المَحَاورِ اللُّغويَّةِ في عَصْرِنا الحَديثِ، لتَتَّسِعَ آفاقُها فِي فَهْمِ النَّصِّ والخِطَابِ.

وقدْ آلَتِ الصَّدارَةُ في الدِّراساتِ البلَاغِيَّةِ الجَديدَةِ، ولا سيَّما الدِّرَاساتُ الأُسلُوبيَّةُ؛ لِرصْدِ القيمِ الجَمَاليَّةِ التي تَتَّصِلُ بالتَّعْبيرِ اللُّغَويِّ، والعَلَاقاتِ الوَثيقَةِ بَينَ الدَّوالِّ ومَدلُولاتِها في مُستوياتِ التَّرَاكِيبِ المُختَلِفَةِ[٦] بوَصْفِ الأُسلُوبيَّةِ نَسَقًا لُغَويًّا في العَلَاقاتِ القائِمَةِ بينَ الدَّالِّ والمَدلُولِ، أوِ اللَّفظِ والمَعْنَى، وتتبُّعِ السِّياقِ للوقُوفِ عَلَى طَرَائقِ الانحِرَافِ عَنِ النَّسَقِ المَألُوفِ؛ ومِنْ ثَمَّ يأتي النَّظْمُ والتَّأليفُ مُنسَجِمًا مَعَ الأُسلُوبيَّةِ[٧].

وقَدْ تَعَدَّدَتْ مَفاهِيمُ النُّقَّادِ والبَلَاغيّينَ المُعَاصِرينَ في فَهْمِ هَذِهِ العَلَاقَةِ؛ فَقدِ اِقتَرَبَ المَفْهُومَانِ لَدَى سَعْدِ مَصْلُوحٍ؛ فمفهومُهُ للأُسْلُوبيَّةِ يَقتَرِبُ مِن مَفهُومِ النَّظْمِ؛ حينَ يُعَرِّفُها بالاختِيَارِ النَّحْويِّ الذي يَتَحكَّم فيهِ قَوَاعِدُ اللُّغَةِ بمَفْهُومِها الشَّامِلِ مِنَ النَّواحِي الصَّوتِيَّةِ والصَّرْفِيَّةِ والدَّلَالِيَّةِ[٨]،

١- يُرَاجَعُ، حسب النبي، نارمين، وجوه النظم والتناسب في بناء الجملة "سورة إبراهيم نموذجًا"، مجلة كلية الدراسات الإسلاميَّة(بنين)، جامعة الأزهر، أسوان، العدد الخامس، يونيو،٢٠٢٢م،٢٨٤-٢٨٥.

٢- يُرَاجَعُ، عمر مختار، أحمد، علم الدلالة، ط٧، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٩م، ٧٨.

٣- يُرَاجَعُ، عبدالجواد، إبراهيم، الاتجاهات الأسلوبية في النقد الحديث، وزارة الثقافة، عمان، (د.ت)، (د.ط)،١٢٣.

٤- الكردي، عبدالرحيم، الأسلوب و الأسلوبيات، دار النابغة للطباعة والنشر، طنطا، مصر،٢٠٢١م،٣٨.

٥- يُرَاجَعُ، عياد، شكري، مدخل إلى علم الأسلوب، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض،١٩٨٢م،٤٣.

٦ - يُرَاجَعُ، جدوع، عزة، البلاغة في القرآن والسنة النبوية، ط٣، مكتبة المتنبي، الدمام، ٢٠١٧م، ٦١.

٧ - يُرَاجَعُ، السَّابقُ،١٠٣.

٨ - يُرَاجَعُ، مصلوح، سعد، الأسلوب دراسة لغوية إحصائيَّة،ط٣، عالم الكتب، القاهرة،١٩٩٣م،٣٨.

وقد تكُونُ بَعضُ الاختِيَارَاتِ عَلَاقةً مُمَيّزةً لأُسْلُوبِ المُنْشِئِ، ومُرَاعَاةِ سِيَاقِ الخِطَابِ[١]؛ كَمَا سَبَقَ الشَّايبُ في كِتَابِهِ الأُسلُوب، حِينَ أَكَّدَ عَلَى ضَرُورَةِ مُرَاعَاةِ السِّيَاقِ مع نَظْمِ الكَلَامِ وائتلَافِهِ أُسلُوبيًّا[٢]

وهَكَذَا نلحظُ من تَعريفِ مَصلُوحٍ للأُسلُوبِيَّةِ أَنَّهُ يَلتقِي مَعَ مَبَاحِثِ النَّظْمِ في حُسْنِ الصِّيَاغَةِ والفَصَاحَةِ، وجَودَةِ اختِيارِ الأَلفاظِ، والعِنَايَةِ بالتَّراكِيبِ، في حِينِ يَعْتَنِي الشَّايبُ في هَذَا الإطَارِ بحُسْنِ اختِيَارِ المَعَانِي المُطَابقةِ لمُقتضَى الحَالِ، في أَلفَاظٍ دالَّةٍ عَلَى مقَامِ الحَالِ دَلَالةً وَافِيَةً؛ لِيُفهمَ المعنَى المُرَاد، ويَصِلَ إلى المُتلقِّي؛ فَكِلَاهُما يُركِّزُ عَلَى الجَانِبِ اللُّغَوِيّ وإنْ ظَلَّ مصلُوحٌ أَكثرَ شُمُولًا في مفهومِهِ للأسلوبيَّةِ؛ لِذَا استَثمرَتِ الدِّراسَاتُ البلَاغِيَّةُ قِرَاءَاتَهُ لنظريَّةِ النَّظمِ في مُقارَباتِهِ الأُسلُوبيَّةِ؛ إذ رأى في النَّظْمِ مَنْهجًا لا يَقتَصِرُ عَلَى الجوَانبِ الجُزئيَّةِ للنَّصِ، بل يتَّسِعُ ليشْمَلَ الخِطَابَ في صُورتِهِ الكُلِّيَّةِ؛ وهُو ما يَجْعلُهُ يَلتَقِي بِجَوهِرِ الأُسلُوبيَّةِ في دِرَاسَةِ الطَّريقةِ أوِ الأُسلُوبِ الذي يَسلكُهُ المُبدِعُ في بناءِ خطابِهِ[٣]؛ فالأُسلُوبيَّةُ تَسْتَعِينُ في تَقْعِيدِ مَنْهَجِهَا عَلَى مباحِثِ عِلْمِ البلاغةِ التي صاغَ منها الجرجانيُّ نظريَّتَهُ بلَا انفِصَالٍ عَنْهَا[٤].

تَعدَّدَتْ مَباحِثُ الأُسلُوبيَّةِ وتَنوَّعَتْ مَوضُوعاتُها، ولَكِنَّها لَمْ تَبعدْ كَثِيرًا عَنْ نَظَرِيَّة النَّظْمِ حتَّى في مفاهِيمِها الجَدِيدَة؛ كالعُدُولِ أَوِ الانزِياحِ[٥]، وكَذَا في تَوسُّعِها في المُستَوى الدَّلَاليّ، من خِلَالِ حَصرِ المُعجمِ اللُّغَويّ للنَّصِّ، وتَتَبُّعِ سياقاتِهِ الدَّلاليَّةِ، وحَصْرِها في ضَوءِ الأبعادِ الثَّقافيَّةِ والدِّينيَّةِ والاجتماعيَّةِ وغيرِها، وجَمْعِها الكَلِماتِ الَّتي تَخُصُّ حَقلًا مُعَيَّنًا، والكَشْفِ عَنْ صِلَاتِ كُلٍّ منها بالأُخرَى، وصِلَاتِها بالمَضْمُونِ العامِّ للخِطَابِ[٦].

وهكَذَا اتّضَحَ لنا ما أَضَافتهُ الدِّرَاسَاتُ الحَدِيثَةُ للأُسلُوبيَّةِ مِن تَمَايُزٍ في الآليَّاتِ والمُعْطَيَاتِ عَمَّا قدَّمَتْهُ النّظَرِيَّةُ الجُرجَانيَّةُ في النَّظْمِ، وإنِ التَقيتَا في كَثيرٍ منها حَسَبَ طَبيعَةِ القِرَاءَةِ وطَبيعَةِ القَارِئ وثقافتِهِ وأيديولوجيَّتِهِ وتوجُّهاتِهِ وزاويةِ النَّظَرِ؛ مِمَّا يَحْدُو بنا للمُقَارَنَةِ بينَ اتِّجَاهَينِ مِن هَذِهِ القِرَاءَاتِ.

- **المَبحَثُ الثّالثُ: قِراءَتا عبدالمُطلَّبِ وأبي مُوسَى مِن خَلَالِ مقدمتيهما:**

لقَدِ اعتَنَى اللُّغويُّونَ والنُّقَّادُ بنظريَّةِ النَّظْمِ عِنايَةً كُبْرَى؛ كما رَأَيْنَا جُهُودًا لَامِعَةً في هذا الإطارِ مِن لدُن أحمد الشَّايب في دِرَاستِهِ الرّائدةِ" الأُسلُوب"، وإبراهيم أنيس في دَلَالَةِ الأَلْفَاظِ وكمال بشر، وجُهُودهِ في عِلمِ الأصواتِ وإثرَاءِ المُستَوى الصَّوتِيّ في الدّرسِ الأسلُوبيّ المُعاصِرِ، وتمَّام حسَّان في دِرَاسَاتِهِ التَّطْبِيقِيَّةِ التي مَزجَ فيها بينَ نظريَّةِ النّظمِ والأسلوبيَّة الحَدِيثَةِ في تَفْسِيراتِ بَعْضِ آياتِ القرآن الكريمِ، ولُطفي عبدالبديعِ، فيما دَرَسَهُ في التَّركيبِ اللُّغَوِيّ للأَدَبِ، وشُكري عيَّاد الذي بَحثَ العَلَاقةَ بَينَ اللُّغَةِ والإبدَاعُ، ومَبادئِ علم الأُسْلُوب العربيّ، وصَلَاحِ فَضْل وجُهُوده في عِلْمِ الأُسْلُوبِ مبادئِهِ وإجراءاتِهِ، وعبد السَّلَام المسدّيّ ودراساته حولَ الأُسْلُوبِيَّةِ والأُسلُوبِ، وأَضْرابِهم منَ البلاغيّين واللّغويّينَ والنّقّادِ؛ كعبد الحكيمِ راضي في نَظَرِيَّةِ اللُّغَةِ في النَّقدِ العربيّ، وسَعد مَصلُوح ودِرَاساتِهِ الأُسْلُوبِيَّةِ المتنوّعة، وبِخاصَّةٍ اللُّغَويَّةُ الإحْصَائيَّةُ، وشَفِيع السَّيّد ودِرَاساتِهِ التَّطبيقيَّةِ، ومحمد الهادي الطَّرابُلْسِيّ ودِراستِهِ حولَ خصائص الأُسْلُوب في الشَّوقيّاتِ.

---

١ - يُرَاجَعُ، حلمي، القاعود، النقد الأدبي الحديث، ط١، دار النَّشر الدَّولي، الرّياض، ١٤٢٧هـ، ٢٨١.
٢ - يُرَاجَعُ، الشايب، أحمد، الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط١٠، ١٩٩٨م ، ١٩.
٣ - يُرَاجَعُ، جدوع، عزة، المعاني (دراسة في الانزياح الأسلوبي)، ط٢، مكتبة المتنبي، الرياض، ١٤٣٨ه، ٥٦.
٤ - يُرَاجَعُ، المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ط٣، الدار العربية للكتاب، القاهرة،١٩٩٣م، ٦ .
٥ - يُرَاجَعُ، جدوع، عزة، البلاغة والإعجاز في القرآن الكريم، مكتبة المتنبي، الرياض، ط٣، ١٤٣٨ه، ١٠٢ .
٦ - يُرَاجَعُ، عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ٨٠.

ولكنَّ تظلَّ جهودُ أبي موسى ومحمد عبدالمطَّلبِ أبرزَ لِما أولياهُ من اهتمامٍ بالغٍ بالمزاوجة بين نظريَّةِ النَّظمِ والأُسلوبيَّاتِ؛ فقد كتبَ مَجمُوعةً منَ الكُتبِ التي تُمثِّلُ مَنْهجًا في القِرَاءةِ المُعتمِدَةِ عَلَى هذِهِ النّظريّةِ؛ كما نَجِدُ في خَصَائِصِ التَّراكِيبِ: دِرَاسَة تَحليليَّة لمسائلِ عِلْمِ المَعَانِي، والتَّصْوير البَيَانِيّ: دِرَاسَة تَحلِيليَّة لمَسَائِلِ البَيَانِ، ودَلَالَات التَّراكِيبِ: دِرَاسَة بلَاغِيَّة، ومِن أَسرارِ التَّعْبيرِ القُرآنِيّ: دِرَاسَة تَحلِيليَّة لسُورَةِ الأَحزابِ، والإعجَاز البلَاغيّ: دِرَاسَة تَحلِيليَّة لتُراثِ أهلِ العِلْمِ.

ومِنْ ثَمَّ؛ فقد امتدَّ مشرُوعُ أبِي مُوسَى حَولَ نظَرِيَّة النّظم ما يَصِلُ إلى نِصْفِ قَرنٍ تقريبًا مِنَ الدَّرْسِ البلاغيّ المتّصلِ، ولَكِنَّنا سَنتَوقَّفُ أَمامَ كتابِهِ" مَدخَل إلى كِتابَي عبدالقاهر الجرجانيّ" بلْ مُقدّمتهِ فَحسبُ؛ نَظَرًا لِطَبيعَةِ البَحثِ.

وقَدِ اِمتدَّتْ جُهُودُ محمد عَبدالمُطَّلبِ فَترةً تُقاربُ النِّصْفِ قَرْنٍ، أَيضًا، عَبرَ مَجمُوعةٍ منَ الكُتبِ المُهمَّةِ والأَبْحاثِ المُعمَّقَةِ تَنظِيرًا وتَطبيقًا؛ كما نَجِدُ في البلاغةِ والأُسلُوبيَّةِ، وبناء الأُسلُوبِ في شِعْرِ الحَداثةِ، والتَّكْوين البدِيعِيّ، وقِرَاءَات أُسلُوبيَّة في الشِّعْرِ الحَدِيثِ، وجَدَليَّة الإفرَاد والتَّركِيبِ، والأفكار الأُسلوبيَّة في نَقْدِ العقَّادِ، وهَكَذا تَكَلَّمَ النَّصُّ: استِنْطَاقُ الخِطَابِ الشِّعرِيّ لرفعت سلام، وغيرها؛ لِذَا اِختَرْنا لهُ كتابَهُ" قَضَايا الحَدَاثَةِ عند عبدالقاهر الجرجانيّ" لاتِّصَالِهِ بنظريَّةِ النَّظْمِ اتِّصَالًا وثيقًا.

- **المَطْلَبُ الأَوَّلُ: قِرَاءَةُ أَبِي مُوسَى التُّراثيَّة:**

يُمكِنُنا بدايَةً أَنْ نستعينَ بما وصفَ بهِ أَبُو موسى قِراءتَهُ، وأنَّها مُجرَّدُ قِرَاءةٍ بينَ قِراءاتٍ لَهُ تتَطوَّر وتتغيَّرُ وكلّ قراءةٍ يحفرُ فيها وراء نصّ الشّيخ يكتشفُ جديدًا ويزيلُ غامضًا، ويفضّ اِلتِباسًا لِدرجةٍ تَدفعهُ تواضُعًا أَنْ يَصِفَ قراءتهُ بالمُتخلّفَةِ جدًّا عن مذهبِ الجرجانيّ، ونظريّتِهِ؛ لذا يوجّهُ خِطَابَهُ للمُتلقّي"واعلَمْ أنّي ما شرحت نصًّا مِنْ كَلَامِ الشَّيخِ، وعُدْتُ إليهِ إلَّا وَجدتُ فيهِ مِمَّا لَمْ أَقُلْهُ أَكثَرَ، وأَجَلَّ، وأسْخَى مِنَ الذِي قُلْتُ، وأَنَّنِي ما أَخَذتُ مِنْ كَلَامِ الشَّيخِ إلَّا زَبَدًا قَذَفَهُ جَوهرُهُ عَلَى سَطْحِهِ"[١].

تَشغلُ مقدّمَةُ أبي مُوسَى سِتَّ عشْرَةَ صَفْحَةً حَشَدَ فيها خُلَاصَةَ تَجربتِهِ حَولَ فِكْرِ عبدِالقاهِرِ الذي يتلخّصُ فيما صاغهُ في نظريَّةِ النَّظْمِ، التي ظلَّتْ محورَ قراءتِهِ، ومناطَ تفْكِيرِهِ وشَرحِهِ وتحليلِهِ؛ إذْ هي محورُ "خُصُوصِيَّاتِ المَعَانِي"؛ وهي" كَلِمةٌ خِصْبةٌ، وتُلَخِّصُ مفَاهِيمَ أَسَاسيَّةً، وذلكَ لأَنَّها كلمةٌ تجمعُ مَعَانِي الأَدَبِ، ومَعَانِي النَّحْوِ؛ لأنَّها تعنِي ما يُحدِثُهُ النَظْمُ مِن صُورٍ لمعَانِي الأدَبِ، والأداة التي يحدثُ النَّظمُ الصُّورَ في المَعانِي الأَدَبيَّةِ هيَ عَلَاقاتٌ، وضَوَابِطُ، وروابِطُ المعانِي النَّحويَّةِ"[٢]. ومن ثَمَّ؛ فَيُمكنُنَا بَعدَ قِراءَةِ هذهِ المُقدّمةِ مِرارًا أَنْ نَسْتَخلِصَ منها خُلاصَةَ قَرَاءَتِهِ نَظَرِيَّةَ النَّظْمِ التي هي خلاصةُ فِكرِ عبدالقاهرِ، وقدْ دَأَبَ أبو مُوسى أَنْ يقدّمَ كتبَهُ بمقدماتٍ عِلْميَّةٍ مكتنزةٍ بجُرثومةِ الكِتابِ، وفحواهُ، ولُبابَهُ مُستَهدِفًا منها إيضَاحَ بُغْيَتهُ منهُ، وجوهرَ فكرتِهِ، وأهدافَهُ المعرفيَّةَ؛ لذا يُمكنُنَا تحديدُ خُلَاصَتِهِ في نقاطٍ؛ أهمُّها:

١- **الاستقراءُ الجُرجانيُّ ودورهُ في بنيةِ النَّظريَّةِ:** يَرَى أَبُو مُوسَى أَنَّ أَهمَّ الأَسبابِ التِي حَدَتْ بالبَلَاغِيّينَ أَنْ يَنْسبُوا النّظريّةِ لعَبدِالقاهرِ قُدرتُهُ عَلَى الاستِقْراءِ والاستنباطِ؛ فَقَدِ استَقرَأَ كُلَّ الجُهُودِ التي سَبَقتْهُ استقراءً واستِيعَابًا كَامِلًا دَقِيقًا، وقِرَاءَةِ وُجُوهِ البيَانِ والمَعَانِي مِن جَمِيعِ الاتّجاهاتِ فيمَا يُمكِنُ أَنْ يَتَجاوزَ القِراءَةَ السَّطْحيَّةَ إلَى القِرَاءَةِ العَمِيقةِ التي يُمكِنُنا مِن خِلَالِهَا صِنَاعَةُ المَعْرِفَةِ" وليسَ في بابِ العِلْمِ أَنْفَعُ، ولَا أَفعَلُ مِن أَنْ نَتَعَلَّمَ كَيفَ اسْتنبَطَ العُلَمَاءُ العِلْمَ؛ لأَنَّ الاستنباط هو الذي يهديك إلى معارفَ جديدةٍ، وفكرٍ جديدٍ"[٣].

---

١ - أبو موسى، محمد ، مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني،ط١، منشورات مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٧م،17.

٢ - السَّابقُ،15.

٣ - السَّابقُ،٣.

٢- **الانفِتَاحُ عَلَى علومِ العربيَّةِ والتَّجْديدُ في النَّظريَّةِ:**

يَستنبِطُ أبُو موسى أنَّ مِن خَصَائصِ نَظَريَّة النّظْمِ التي انبثقَتْ منْ طَرائِقِ العَربِ والمسلمينَ في الاستِنْبَاطِ الفقهيّ، والاجتِهادِ في أُصُولِهِ، هو الانفِتاحُ عَلَى العُلُومِ، والتَّجدِيدُ الدَّائمُ للمَنهَجِ حتَّى يُواكِبَ سُنَّةَ التَّطَوُّرِ والتَّغْيِيرِ" لمُوَاكَبَةِ حَرَكَةِ الحيَاةِ المُتَسَارعةِ"[١].

فمِمَّا ألحَّ عليهِ أبو موسى تقريبُ الجُرجانيّ بينَ العُلُومِ المُتباعِدَةِ، وذَكاءهُ في إدراكِ الوشائجِ والصِّلَاتِ الخَفِيَّةِ التي تَربطُ الحُقُولَ المَعرفيَّةِ، وتُقرِبُ بينَ العُلُومِ والآدَابِ، لتَتَمكَّنَ النَّظريَّةُ من إدراكِ العَلَاقاتِ البَعِيدَةِ في النّصِّ، والتَّغلغل في عُمْقِ المَعَارفِ يُؤدِّي إلى تَحريكِ الخَاطِرِ وإدراكِ الرَّوابطِ الخَفِيَّةِ، والعَلَاقاتِ البَعِيدةِ بينَ صُورِ المَعَانِي، كَمَا أنَّ زيادةَ وهجِ الأدبِ بالتّنافُذِ مع العلمِ، يزيدُ وهجَ الكلمة، ويَمنحُها حُريَّةً في التَّعبيرِ، كما يمنحُ في المُقابلِ الحُرّيَّةَ المُضَاعفَةَ في الفَهْمِ والتَّأويلِ وإدراكِ النّسَبِ بَينَ أجزاءِ النّصِّ[٢].

٣- **النَّظريَّةُ تُصلحُ الخَطَأَ، وتقوّمُ الزَّلَلَ:** يرَى أبو مُوسى أنَّ نَظَريّةَ النَّظْمِ مِثلُ غَيرِها في كَونِهَا جاءتْ لِتُصلِحَ خَطَأَ النّظرَةِ القائلَةِ بانتصارِ العَرَبِ للَّفظِ في مُقابلِ انتصارِ العَجمِ للمَعنَى، ويشبّهُ ذلكَ بما فَعلهُ الجاحظُ في ردِّ القولِ بالصّرفَةِ، وبكلَامِ المُعْتَزلَةِ في رُؤيةِ الله تعالى؛ لذَا يرَاهُ قد"حلَّلَ الأَقاويلَ الزّائفةَ تَحْليلًا أعمقَ من تَحليلِهِ للصَّوَابِ، وكَشَفَ مَوطِنَ الخَلَلِ"[٣].

٤- **نظريَّةُ النَّظْمِ عربيَّةٌ خالصةٌ:** خالفَ أبو مُوسَى الكثيرينَ مِنَ البَلَاغِيّينَ الذينَ يَرَونَ أنَّ أهمَّ مصَادرِ النَّظَريَّةِ لَدَى الجُرْجانيّ هُو سيبويهِ، في حينِ يرَى أنَّهُ أكثرُ تأثُّرًا بالجاحظِ" وكانَ في كَثيرٍ مِنْ صَفَحاتِ كتابِيهِ كأنَّهُ يَعمَدُ عَمْدًا إلَى شَرحِ كَلامِ الجاحِظِ، مُسْتَضِيئًا بعِلْمِ الخليلِ وسِيبويهِ"[٤]، ومنَ الوَاضِحِ أنَّ أبا مُوسى يُريدُ أن ينسبَ النَّظريَّةَ خالصةً إلى العربِ؛ فيلحُّ مرارًا عَلَى فكرةِ قوَةِ أثرِ الجاحِظِ في النَّظريَّةِ عن تأثيرِ سِيبويهِ خلافًا للمشهورِ بين الباحثين من الأثرِ الأعظمِ لِسيبويهِ الذي لَمْ يُذكرْ إلَّا في الدَّلائلِ في مواضعِ النّحوِ فحسبُ، في حين تَكَرَّرَ ذِكرُ الجَاحِظِ في الكِتابينِ أضْعافَ منْ ذَكَرهم غيرَهُ؛ "ولهَذَا نُؤكِّدُ أنَّ الجاحظَ كانَ له أثرٌ واضحٌ في تنويرِ طَريقِ عبدِ القاهِرِ الذي سَلكَهُ، وفَتَحَ بِهِ بابَ عِلمٍ شَريفٍ، وأنَّهُ كانَ في هذا لا يُنافِسُهُ سِيبويهِ، مَعَ أنَّ المَشهُورَ عندَ الدَّارِسينَ أنَّ سيبويهِ لهُ الأَثرُ الأَكبرُ في بِناءِ عَبدِ القاهرِ لِعِلْمِهِ، والصَّحِيحُ أنَّ هذَا الأثرَ الأكبرَ للجاحظِ"[٥].

ومَسألَةُ تعصُّبِ أبي مُوسَى للعَربيَّةِ وحدها واضِحٌ في استِطرَادَاتِهَا؛ كما نَجِدُ في أُمنيَّتِهِ أنْ يكُونَ العُقَّادُ قَدْ لَزِمَ علومَ العربيَّةِ دونَ غيرها هو ورفاقه ليخرجوا لنا بمنهجٍ عربيٍّ ذي فكرٍ عربيٍّ خالصٍ[٦]، معَ أنَّهُ وهُوَ في صَدَدِ الاحتشادِ لهذِهِ الفِكرةِ يَستَشهِدُ بإليوتَ، وهازلتَ، ونيتشه[٧]، ومنَ الواضِحِ أنَّ أبا مُوسى مَدفوعٌ بِحَمِيَّةٍ للثّقافَةِ العَرَبيَّةِ؛ لِذَا وَجَدَ في تَتَبُّعِ الباحثينَ العَرَبِ لمَنَاهجِ الغَرْبيينَ، ومُحَاكَاةِ طُرُقِهم، أَدَّى إلى دُخُولِ العَقْلِ العَربيّ في سِردَابٍ ضَيّقٍ وعَفَنٍ نَاتِجٍ عَنِ اِصطِنَاعِ عُلُومِ الآخرينَ[٨].

٥- **تَوسِيعُ النَّظَريَّةِ لِحُدُودِ الأَدَبيَّةِ:** استَنبَطَ أَبُو مُوسَى مِن خِلَالِ استِقرَاءِ شَوَاهِدِ الجُرجانيّ في نَظَريَّتِهِ أنّهُ تَوسَّعَ في أَدَبيَّةِ الأَدَبِ؛ فَالنَّظريَّةُ تَهْتمُّ بالتَّراكِيبِ اللُّغَويَّةِ وتَثْويرِ المَعَانِي فِيهَا بِصَرفِ

---

١ - السَّابقُ،٥.
٢ - يُرَاجَعُ، السَّابقُ،35.
٣ - السَّابقُ،٩.
٤ - السَّابقُ،١٤.
٥ - السَّابقُ،34.
٦ - يُرَاجَعُ، السَّابقُ،7.
٧ - يُرَاجَعُ، السَّابقُ،٥-٧.
٨ - يُرَاجَعُ، السَّابقُ،٤.

النَّظَرِ أنْ يكُونَ النَّصُّ شِعْرًا أَو نَثْرًا أَو غَيرَ ذَلكَ[١]؛ فلمْ يُقْصِرْ عبدُالقاهِرِ مَفهُومَ النَّصِّ عَلَى شَوَاهِدِ الشِّعرِ والنَّثرِ الفنِّيّ؛ كما أُلِفَ في الشَّاهِدِ البلاغيّ، بل تَجاوزَهُ إلى كلّ ما فِيهِ" إتقانٌ وتدقيقٌ مهما كان المَعنى المعبّرُ عنهُ حتَّى ولَو كانَ قَاعِدَةً نَحْوِيَّةً، أو فِقْهِيَّةً، المُهِمُّ أنْ تَكُونَ العِبَارَةُ قَدْ دَاخَلَها صَقْلٌ وتَثْقِيفٌ واختِيَارٌ"[٢]، وتمَثّلَ في ذَلِكَ بِبَعْضِ تَعرِيفاتِ سِيبَويه في الكِتابِ، وأيَّدَ أبُو مُوسَى رأيَ شَيخِهِ الجُرجانيّ في وَصْفِهِ تَعْرِيفَ سِيبويهِ أَقسَامَ الفِعْلِ"لا نَعلَمُ أَحدًا أتى في مَعنَى هذا الكَلَامِ بما يُوازِنُهُ أو يُدَانِيهِ، أَو يَقَعُ قَرِيبًا منهُ، ولا يقَعُ في الوَهمِ، أيضًا، أنَّ ذلكَ يُستطَاعُ"[٣]، وحينَ نَتَأمَّلُ ما استَشهَدَ بِهِ أبُو مُوسَى للجُرجانيّ نَجِدُ أنَّهُ ذَكَرَ النَّصَّ مرَّتَينِ، إحدَاهُما في وَصْفِ الإعْجازِ القُرآنِيّ[٤]، والثَّانيةُ في وَصفِ تَعْرِيفِ سِيبويهِ"[٥]؛ ومعنَى ذلكَ أنَّ النَّظريَّةَ تنصبُّ عَلَى الائتلافِ التَّركيبِيّ، والانسِجامِ البلَاغِيّ في النّصّ نفسِهِ، لا عَلَى أَسبابٍ خارجَ النَّصّ؛ لذَا نَرى أَبَا مُوسَى يَستَشهِدُ عَلَى صَوَابِ نَظْرَةِ الجُرجانيّ للنَّصّ بِمَا وَجَدهُ في لُغَةِ طَبيبِ أَطْفالٍ بما لمْ يجدْهُ في لُغةِ أَهْلِ البلَاغَةِ، ويُؤكّدُ ذلكَ بما نَجدُهُ من جُملِ الاحترازاتِ الفِقهيّةِ، ومدَى دقّتها، وحُسن سبكِها وجودةِ نَظمها[٦].

٦- **قُدرةُ النَّظريَّةِ عَلَى التّوفيقِ بينَ مقصدِيَّةِ الرّسالَةِ وتكوينها:** استنتَجَ أبو مُوسَى من نَظريَّةِ النَّظْمِ أنَّ غرضَ عبدالقاهرِ هُوَ مواءَمةُ معَانِي النَّحْوِ معَ نَسقِ النّصّ ومقْصدِيَّةِ المُتكلّمِ وحالِ المُخاطَبِينَ؛ فقد كانَ "عُلَماؤُنا يَرُومُونَ بِكِتابَاتِهِم عقُولَ النَّاسِ وقُلُوبَهم"[٧]؛ أي إنَّ حَظَّ الخِطَابِ مِنَ الجَودَةِ" إنَّما هُو بِمِقْدَارِ حَظِّهِ مِن هذهِ المُواءَمةِ بينَ مَعَانِي النَّحْوِ، ومَقاصِدِ المُتكلّمينَ"[٨]؛ لِذَا يَربطُ نَظريَّةَ النَّظمِ التي هي خلاصةُ فكرِ عبدالقاهرِ التي بنى عليها أبو مُوسَى كِتابَهُ بالتَّأثيرِ العَقلِيّ والوجدانِيّ مَعًا.

المَطْلَبُ الثَّاني: قِرَاءَةُ عبدِ المُطّلبِ الحَدَاثيَّةِ:

تَتَسَاوَى مُقدّمَةُ عبدِالمُطّلب مَعَ مُقدّمَةِ أبِي مُوسَى تَقْرِيبًا في عَددِ الصَّفحَاتِ، ورُبَّما في عَدَدِ الكَلِمَاتِ، وقدْ وضَعَ فَلْسَفَةَ الجُرجانيّ الجَوهَرِيَّةِ، وقَواعِدَهُ الأَسَاسيَّةَ، التي تَبلُغُ دَرَجَةَ اكتِمَالِهَا في نَظَرِيَّةِ النَّظْمِ، في هذهِ المُقَدّمَةِ مُتّفقًا معَ أبِي مُوسَى في الحرصِ على ذلكَ؛ مؤكّدًا أنَّهُ في كلّ دراساتِهِ ينطلِقُ من مُنطلَقٍ أَساسٍ هُو أَنَّنَا لايُمكِنُنَا أَنْ نَرصُدَ موقِفَنَا منَ الحَدَاثَةِ إلَّا بِتَصَوُّرٍ موقفنا منَ التُّراثِ، كما يتَّفِقُ مع أبي موسى أيضًا في أنَّ فكرةَ الحداثَةِ مُطلقَةٌ، يُمْكِنُنَا إدْرَاكُهَا فِي التُّراثِ، كما يُمْكِنُنَا إدْرَاكُهَا فِي الحديثِ، ولكنّ عبدالمطّلبُ يختلفُ عن أبي موسى في بعضِ المُنطَلَقاتِ والرُّؤَى النَّاتجةِ عن نَوعٍ مُختَلِفٍ مِنَ القِرَاءَةِ، تُوَجّهُهُ فَلسَفةُ القِرَاءَةِ، والمَوقِفُ منَ الآخرِ، والثَّقافةُ المُختَلِفَةُ، وغيرُ ذلكَ من مُوجِّهاتِ القِراءَةِ والرُّؤيَةِ، واختلافُ زَوايا النَّظَرِ والغَاياتِ؛ منها:

١- **النَّظَرِيَّةُ بَينَ الأَنَا والآخَرِ:** يرَى عبدالمُطَّلبِ أَنَّ قِراءَةَ عبدِالقاهرِ والمُوروثِ البَلَاغِيّ الذي اعتمَدَ عَلَى نظريَّتِهِ يَجمُلُ بنا أنْ نَقرأَها قراءةً ترَدُّديَّةً؛ بمعنَى أنْ تتَرَدَّدَ هذِهِ القِرَاءَةُ الإيجابيَّةُ الواعيةُ بينَ قِراءَةِ المُوروثِ وقِراءَةِ الجَديدِ الوافدِ مَعًا دُونَ تَمييزٍ أو عصبيَّةٍ؛ بما يُمكِّنُها مِن قِرَاءةِ المَورُوثِ بِوَعيٍ حداثيٍّ" إنَّها قِراءَةٌ استكشافيَّةٌ تقرأ القديمَ بعقلٍ جديدٍ، وتعيد صياغتهُ في لغة

---

١ - يُرَاجَعُ، السَّابقُ،١٤-١٥.
٢ - السَّابقُ،25.
٣ - السَّابقُ،٢٦.
٤ - يُرَاجَعُ، عبدالقاهر، دلائل الإعجاز،٣٨.
٥ - يُرَاجَعُ، السَّابقُ،605.
٦ - يُرَاجَعُ، أبو موسى، مدخل إلى كتابي عبد القاهر،٢٧.
٧ - يُرَاجَعُ، السَّابقُ،١٢.
٨ - السَّابقُ،٣٣.

جديدَةٍ قادرةٍ على السُّطُوحِ والأَعْمَاقِ، وتُقَدِّمُ المُقَدِّماتِ والنَّتائجَ، وتربِطُ التَّحليلَ بالتَّركيبِ، وتبْتَعِدُ عنِ الانغِلَاقِ المُطْلَقِ، والانفتاحِ المُطْلَقِ"[١]

٢- **أَزْمَةُ البَلَاغَةِ وسُوءُ القِرَاءَةِ:** يُؤكّدُ عبدُالمطّلب أنَّ سببَ أَزْمةِ البلَاغَةِ العَربيَّةِ الآنَ ناجِمٌ عن سُوءِ القِراءَةِ، حين تتَحوَّلُ إلى قَضَايا جُزئيَّةٍ رَصديَّةٍ وَصفيَّةٍ، تَنعكِسُ على تحليلِ النُّصوصِ، وتَقديم التُّراثِ البلَاغِيّ؛ مِمَّا يُؤدّي إلى تُشَوهِّهُ، وكَأَنَّهُ يُوجّهُ القارئَ من طَرْفٍ خَفِيٍّ أنَّ الحَلَّ هُو إعادَةُ قِراءَة نَظَريَّةِ عبدِالقاهِرِ التي مِن أَجلِهَا كَتَبَ الكِتَابَ، ولَهَا يُقدِّمُ ويُوطِّئُ؛ لذا يقترِحُ قِراءةَ عبدِالقاهِرِ سَبِيلًا للخُرُوجِ مِنَ الأَزمَةِ؛ فيَلزَمُنَا" رَصْدُ الظَّاهرَةِ الحدَاثيَّةِ عند رَجُلٍ بِعَينِهِ هُوَ عبدُالقاهِرِ الجُرْجانيُّ. وأَظُنُّ أنَّ هذهِ الحَرَكةِ يمكنُ أن تضعَ أمامَ القارئ قَضَايا الحَداثَةِ وَضعًا مُحايدًا دُونَ انغلاقٍ مُطْلَقٍ وانفتاحٍ مُطْلَقٍ"[٢].

ومن ثمَّ؛ يُرجعُ عبدُالمطَّلبِ الفضْلَ لعَبدالقاهِرِ في لمِّ شَتَاتِ النّصِّ، واستِخْلَاصِ حَقيقتِهِ الكليَّةِ من خِلَالِ نَظريَّتِهِ المُتكَامِلَةِ[٣].

٣- **قِراءَةُ عبدالقاهِرِ بينَ ثَلاثِ قِراءَاتٍ:** يَقترِحُ عبدالمُطَّلبِ عَلَى دارِسِ البلَاغَةِ العربيَّةِ أَنْ يَقْرَأَ نَظَريَّةَ النَّظْمِ بَينَ ثَلَاثِ قِرَاءَاتٍ مُختَلِفةٍ؛ هِيَ الاسترجاعِيَّةُ التي تَعْتَمِدُ على قِرَاءَةِ التُّرَاثِ البَلَاغيّ، والاستِحْضَارِيَّةُ التي تضطلعُ بقراءةِ الوافِدِ الغربيّ في مُنْجَزِهِ النَّقدِيّ، والاستِنتاجِيَّةُ التي تأتي نتيجةً منطقِيَّةً لِمَزجِ القِراءَتينِ السَّابِقَتَينِ" لِيَخْلُصَ بهما إلى عبدِالقاهِرِ الجُرْجانيّ؛ لِيُطِيلَ الوقُوفَ عِندَهُ تَحْلِيلًا وتركيبًا، تنظيرًا وتطْبيقًا؛ فالتَّوجُّهاتُ الثَّلاثَةُ عَلَى هذا النَّحوِ هِيَ التي تُشَكِّلُ قَضَايَا الحَدَاثَةِ تشكيلًا مِحْوَريًّا"[٤].

٤- **الأُسلُوبُ بينَ النَظَرِيَّتينِ: الجُرجانيَّةِ والغربيَّةِ(التَّماثُلُ والتَّباينُ):**

ينسبُ عبدالمطّلب تعريف الأُسلُوبِ؛ بمعناهُ البلَاغِيّ، إلى الجُرجانيّ؛ فيرى أنّهُ "هو المؤلّف الوحيد الذي وَضَعَ تَعرِيفًا مُبَاشِرًا للأُسلُوبِ"[٥] من المعلومِ أنَّ عبدالمطّلبِ؛ كما مرَّبنا، قدِ استَثمرَ الدِّراساتِ الأُسلُوبِيَّةَ الحدِيثَةَ فيما قدَّمهُ دي سوسير وما تناسلَ عن نَظْرتِهِ في ثُنائيَّةِ اللُّغَةِ والكلَامِ، بوصفِهما ظاهرتَينِ تلتقيانِ معَ مُعطياتِ نَظَريَّةِ النَّظْمِ التي قالَ بها الجُرجانِيُّ، فاللُّغةُ في رُؤيةِ دي سوسير تَعنِي الظَّاهرةَ اللُّغويَّةَ المُجرَّدَةَ، ولهَا صِفةُ الدَّيمُومةِ في الخِطَابِ البشَريّ، في حينِ أنَّ الكلَامَ ظاهِرةٌ مُجسّدةٌ للُّغَةِ في حيّزٍ مادِّيّ، يأخذُ أشكالًا متنوّعةً؛ كالقصيدَةِ، والخِطَابِ، والنَّصِّ والرّسالةِ[٦].

ومنْ ثمَّ؛ فإنَّ الأُسلُوبِيَّةَ تُعنَى بدِرَاسَةِ النَّصِّ بوصفِهِ مَظهرًا للغةِ، كما تتَّجهُ إلى دراسةِ الألفاظِ بوصفها ممثِّلةً لجَوهَرِ المَعانِي؛ فَالتَّراكيبِ لِتَصِلَ إلَى المُستَوى الدَّلَاليّ، فيتجه المنهج الأسلوبِيّ من الصَّوت؛ فالمُعجمِ؛ وصُولًا إلى الخِطَابِ" وتكادُ هذهِ النَّظرةُ تتوازن مع الموروثِ العربِيّ القديمِ، من حيث التَّعامُلُ المُعجميُّ معَ المُصْطَلَحِ أوَّلًا، ثمَّ التَّحرُّك من منطقَةِ المُعجمِ إلى منطقةِ الدّرسِ الأدبيّ في جُملتِهِ"[٧].

ومع ذلك التّوازنِ بين النّظريَّتَينِ الجُرْجانيَّةِ والغَربيَّةِ للأُسلُوبِ يَجِدُ عبدُالمُطّلبِ بينَهُما اختِلَافًا في الوضُوحِ، والدَّوافعِ، والغاياتِ؛ فَيرى النّظرَةَ الغربيَّةَ أَكثَرَ وُضُوحًا وتَحْدِيدًا" كَمَا أَنَّ الدَّافِعَ لِلتَّوجُّهِ الأُسلُوبيّ كانَ مُخْتَلِفًا؛ إذْ إنَّ الحَقِيقةَ الأَدبيَّةَ وَحدَها كانَتْ وَراءَ الدَّرْسِ الأُسلُوبيّ الوَافِدِ،

---

١ - عبد المطلب، محمد، قضايا الحداثة عند عبدالقاهر الجرجاني، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ١٩٩٥م،٢.

٢ - السَّابقُ ،٣.

٣ - يُرَاجَعُ، السَّابقُ ،٦.

٤ - عبد المطلب، السَّابقُ،٤.

٥ - السَّابقُ،7.

٦ - يُرَاجَعُ، عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، ط٤، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ٢٠١٠م، ٢٠٤.

٧ - عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبدالقاهر ،٦.

في حِينِ أنَّ الدَّوافعَ الدّينيَّةَ، وبخاصَّةٍ ما يتَّصِلُ بقَضِيَّةِ الإعجَازِ، كَانَتْ هِيَ المُحَرِّكَ"[١]عند عبدالقاهر في نَظريَّةِ النَّظْمِ؛ لِذَا دَفعَ هذا التَّبايُنُ عبدَالمُطَّلِبِ لمُحَاوَلَةِ" التَّعرُّفَ على المنهجِ الجُرجانيّ بالنّسبةِ للبحثِ الأُسلُوبيّ عَامَّةً"[٢]، وانتَهَتْ مُحاولتُهُ إلَى نَتيجتَينِ؛ إحدَاهُما أنَّ الجُرجانِيَّ استثمَرَ جُهُودَ سَابقيهِ بباعِثٍ دِينيٍّ أَقوَى، والثَّانيَّةُ هِيَ تفرُّدُهُ بنظَرِيَّتِهِ كاملةٍ في النَّظمِ، كما أنَّها أَوسعُ وأعمُّ مِنَ الأُسلُوبِ؛ فالأُسلوبُ نَوعٌ مِن جِنْسِ النَّظْمِ[٣].

٥- بَينَ نظريَّتي: الجُرْجَانِيّ وتشُومسكي(الاختلَافُ والإئتلَافُ)

يَرَى عبدُالمطَّلِبِ اتّفاقَ الجُرجانِيّ وتشومسكيّ في أنَّهُما اتَّخَذَا مِنَ النَّحوِ وسيلَةً وغَايَةً، ونَظَرَتَيهما التَّوليديَّةِ في مُعالَجَةِ النُّصُوصِ الإبدَاعِيَّةِ؛ بسَبَبِ توجُّهاتِهما في تَفسِيرِها إلى الظَّاهرةِ اللُّغَويَّةِ؛ وتَمَاثُلِ مُنطَلَقَاتِهما التَّجريديَّةِ والتَّطْبيقيَّةِ، في حِينِ اختلَفَا في كَونِ عبدِالقاهِرِ قَدْ تَمَيَّزَ في تَرْكِيزِهِ عَلَى المَعَانِي النَّفْسِيَّةِ فَضْلًا عنِ الصِّيَاغَةِ الأُسلُوبيَّةِ، في حِينِ ركَّزَ تشُومسكي عَلَى صِفَتَي: القُدْرَةِ والكَفَاءَةِ، وفيهما تَميَّزَ عنِ الجُرجانِيّ في عِنَايَتِهِ بالمُستَوَى الصَّوتِيّ، ومَعَ ذلكَ فإنَّهُ لا يُمكنُنا إثباتُ تأثُّرِهِ بالجُرجانيّ مَعَ ثبوتِ قراءتِهِ للجُهُودِ اللُّغَويَّةِ العرَبِيَّةِ[٤].

٦- **النَّظْمُ والشِّعْرِيَّةُ:** بالرَّغْمِ مِنْ كَونِ مُصْطَلَحِ الشِّعْرِيَّةِ مُصْطَلَحًا مُلْتَبِسًا، ومُتَدَاخِلًا مَعَ غَيرِهِ؛ كالأَدَبِيَّةِ والإنْشَائِيَّةِ فإنَّهُ يتَّفِقُ مَعَ نظَرِيَّةِ النَّظْمِ؛ حَسَبَ رَأْيِ عَبدِالمطَّلِبِ؛ في كونِهما يقُومانِ على فِكْرَةِ الاختيارِ والتَّوزِيعِ لإنتاجِ الدَّلَالَةِ، وعنايتهما بظواهرَ واحِدَةٍ؛ كالمُفَارَقَةِ، والعُدُولِ، والتَّوسُّعِ، والتَّوازُنِ، والبِنَى التّخييليَّةِ، والعلاقة بين الدَّالّ والمدلولِ، وما أَثَارهُ عَبدُالقاهرِ منَ المَعنَى الأوَّلِ، والمَعنَى الثَّانِي الذي تهتمُّ بِهِ الشّعريَّةِ فيما عُرِفَ عِندهُ بالمَعنَى ومَعنَى المَعْنَى؛ وهذهِ الكثرَةُ من أَوجِهِ الاتّفاقِ هي التي دفعتْ عبدَالمُطَّلِبِ إلى الحسمِ بتوافقهما إلى الحدّ الذي "ينتهي إلى توافُقِ النَّظْمِ مع الشِّعريَّةِ تَنظِيرًا وتَطْبِيقًا، وبِخاصَّةٍ إذَا كانَ التَّعَامُلُ معَ الشّعريَّةِ في مَفهُومِها الأَرِسْطِيّ"[٥].

٧- **النَّظْمُ والتَّناصُّ:** يرى عبدُالمطَّلبِ، بعد تتبُّعِهِ تاريخَ مُصطلحِ التَّناصّ أو النُّصوصيَّة، أو تداخُل النُّصُوصِ، أنّ نظريَّةَ عبدالقاهر لم تُغفِلِ التَّناصَّ؛ فيما اصطَلَحَتْ عَلَيهِ من التَّوارُدِ، والتَّدَاخُلِ، والاتِّفاقِ، والمُحَاكاةِ اللَّفْظِيَّةِ، والتَّماثُلِ المُوسِيقِيّ، بَلْ يَستنتِجُ بتتبُّعِ هذه المصطلحات التي تنتمي إلى نظريَّة التّناصّ لدى چوليا كريستيڤا وريڤاتير، وزمتور، أنَّ الجرجانيَّ يتميَّزُ بِتَقسِيمِ التَّداخُلِ مستويين: سَطْحِيٍّ وعميقٍ، وفي ضوءِ ما وجدهُ لدى الجرجانيّ في الجانبِ التَّطبيقيّ من تركيزٍ على التَّراكيبِ الجزئيَّةِ بين النّصّين: الحاضرِ والغائبِ" ويَقتضي الجانبُ التَّطبيقيُّ الاتِّكاءَ على الأَبنيةِ الخاصَّةِ والتّشكيلاتِ الجزئيَّةِ؛لأنَّ هذا الدَّورَ يمثِّلُ قِمَّةَ الخصوصيَّةِ التي تسمحُ لمقولةِ التَّناصّ بالتَّعلُّقِ بها كشفًا وتحليلًا"[٦].

٨- **نَظَرِيَّةُ النَّظمِ ونَظَرِيَّةُ التَّلَقِّي:** يُقارِنُ عبدُالمُطَّلِبِ بَينَ مَوقِفِ المُتَلَقِّي عِندَ عَبدِالقاهِرِ ونَظَرِيَّةِ التَّلَقِّي الغَربيَّة المَعروفَةِ عندَ ياوس وإيزر، ويَرَى أَنَّ ثَمَّةَ اتِّفاقًا وافتِراقًا بينهما؛ فالاتّفاقُ في الاهتِمَامِ بالمُتلقّي، وجَعلِهِ طَرفًا مَركزيًّا في عَمَلِيَّةِ الإبدَاعِ، ولَكِنَّهما يَفتَرِقانِ في كَونِ المُتلقِّي يَأتِي تَالِيًا للمُبدِعِ لَدَى الجُرْجانيّ، واعتِمادِهِ عَلَى مُتلَقٍ ذي كَفَاءَةٍ خاصَّةٍ تَتَّفِقُ أو تَتَوازنُ وكفاءةَ المُبدِعِ، في حِينِ تَتنوَّعُ مُستَوَياتُ القُرَّاءِ في نَظَرِيَّةِ التَّلَقِّي؛ بِدايَةً من القارئِ المِثالِيّ، فالعَادِيّ،

---

١ - السَّابقُ نفسه، الصَفحَةُ نفسُها.
٢ - السَّابقُ نفسه، الصَفحَةُ نفسُها.
٣ - يُرَاجَعُ، السَّابقُ،٧.
٤ - يُرَاجَعُ، السَّابقُ،٨-٩.
٥ - السَّابقُ،11.
٦ - السَّابقُ،١٤.

والمُتوَسّط بَينهما ومِنَ اللّافتِ أَنَّ الجُرْجانيَّ" يَسمَحُ للمُتلقّي بالتَّدخُّلِ المُضْمَرِ في الصّياغَةِ، وهذا التَّدخُّلِ يقومُ على المُحَاوَرَةِ الافتِرَاضِيَّةِ أَحْيَانًا، والمتابعة الصّياغيَّةِ أَحْيَانًا أُخرَى"[١].

وهَكَذا نَجدُ ما أدّت إليهِ القِرَاءَتانِ المُختارَتانِ لأبي مُوسى وعبدِالمُطَّلبِ مِن نِقَاطِ اتّفاقٍ وافتِراقٍ، وإنْ ظلَّت لكُلّ قراءةٍ خُصُوصيَّاتِها المُمَيّزَةِ؛ لاختلافِ مُنطَلقاتِهما وفَلسفَتِهما وطبيعَةِ القِرَاءةِ، والنّظرة للآخر، والغَايَة منَ القِراءة؛ فقِراءةُ أبي مُوسى هي قِراءةُ لنظريَّةِ النَّظْمِ بعَينٍ تُراثيَّةٍ من جِنسِ النَّظَريَّةِ، في حينِ تأتِي قِراءَةُ عبدِالمُطَّلبِ بوعيٍ مزدوجٍ، يتوخّى فيهِ التوازُنِ الموضوعيّ بينَ قراءة النَّظريَّةِ من داخلها تارةً، ومن خارجها بوعيٍ مفعمٍ بقراءةِ النّظريّاتِ الغربيَّة والوافدِ الأجنبيّ في تجليّاتهِ المختلفةِ من التوليديَّة اللغويّة عند تشومسكيّ والأسلوبيَّة عند ريفاتير، والتّناصّ لدى كريستيفا، وموت المؤلف الذي نادى به رولان بارت، وأنواع القراءة في نظريَّة القِراءَةِ التي تُنسَبُ للألمانيّين ياوس وإيزر، في حين ظلَّت قراءَةُ أبِي مُوسى لِنظَريَّةِ عبدِالقاهرِ مِن واقِعِ دفاعِهِ عَنِ العرَبِ الأقدَمينَ ضدّ العجمِ، والمُحدثينَ في مُواجَهَةِ الغَرْبِ؛ لذَا فَهُو يَقرأُ النَّظريَّةَ في ضُوءِ فِكرِ الجَاحظِ وسيبويهِ والقاضِي عبدالجبَّارِ، وأَصدَاء النَّظْم عندَ الخَطِيبِ والسَّكَّاكيّ والقَزوينِيّ، مُنتَصِرًا لتَأثِيرِ الجاحِظِ على سيبويهِ في النَّظَريَّةِ، مُوسّعًا نظَرتَهُ لِطَبيعَةِ الشَّاهدِ والمِثَالِ، ومَزجِ العلُومِ العَربيَّةِ وتنافذها في نظَريَّةِ النَّظْمِ من نَحوٍ وصَرفٍ وعَروضٍ ومَنطِقٍ وفِقهٍ وأُصُولٍ؛ مُتَّخذًا من نظريَّة الجرجانيّ نسقًا عامًّا لطَرائِقِ التَّفكيرِ المَنهَجِيّ عندَ العَربِ القائمةِ عَلَى الاستِقراءِ والاستنباطِ، وأنَّ هذه النَّظريَّاتِ تَنبعُ عادَةً؛ كما في نظريَّةِ النَّظمِ، من قُدْرتِها على تَقويمِ الزَّلَلِ، ورَصْدِ الخَلَلِ وتَصْويبِ الخَطَأ؛ مُتَّخِذًا مِمَّا قامَتْ بِهِ نَظَريَّةُ النَّظمِ مِن تَصويبٍ لِمَا شَاعَ من تَعصُّبِ العَربِ لِّلفظِ في مُقابلِ انتِصَارِ العَجمِ للمَعنَى؛ وهكَذا استَطاعَ تَجذيرَ النَّظريَّةِ، وتتبّعَ أُصُولِها ومَصَادِرِها، وقُدرَاتِها عَلَى قِراءَةِ النّصِّ أو الخِطابِ دَاخليًّا وخارجيًّا.

[١] - السَّابقُ،١٧.

الخَاتِمَةُ:

سَعَتْ هذهِ الدِّرَاسَةُ إلى مُحاوَلَةِ عَقْدِ مُقَارَنةٍ بينَ قِرَاءَتينِ لنظريَّةِ النَّظمِ؛ بوصفِها أَهمَّ نَظَريَّةٍ بلَاغيَّةٍ عَربيَّةٍ في التُّراثِ البلَاغِيّ النّقديّ القَديمِ؛ بِمَا لَهَا مِنْ جُذُورٍ وامتِدَاداتٍ قدِيمًا وحديثًا، سَوَاءٌ بالنِّسْبةِ للمُدوَّنَةِ التُّراثيَّةِ العَربيَّةِ بما اتّسَعَتْ بهِ من تَنافُذٍ معَ الثَّقافاتِ والعُلُومِ، أو بالنِّسبَةِ للخِطَابِ البلَاغيّ النّقدِيّ المُعاصِرِ بما استَوعبَهُ مِنَ الوَافِدِ الأُورُوبِيّ؛ وهو ما حَدَا بهذه الدِّرَاسَةِ أن تَرتكِزَ على هذِهِ الامتِدَادَاتِ في المَبحَثَينِ الأَوَّلينِ، قبلَ أنْ تُختمَ في المَبحَثِ الثَّالِثِ بِعَقدِ مُوازنَةٍ بين قراءَتينِ لِعَلَمَينِ مِنْ أَعلَامِ البلَاغَةِ المُعَاصِرَةِ؛ هما محمد أبو موسى، ومحمد عبدالمطّلب؛ لأنَّهما قدَّما قِراءَتينِ مُتمَايزَتَينِ لنَظَريَّةِ النَّظْمِ؛ واكتفتِ المُقارَنةُ علَى قِراءَةِ مُقَدّمتي كتابيهما اللَّذينِ خُصّصَاهما لقِراءَةِ النَّظَريَّةِ، فالبلَاغِيَّانِ مُتَعاصِرَانِ مُتَجايلَانِ تِرْبانِ؛ لكِنَّ هناكَ اختلافاتٍ في توجُّهاتِهما البلَاغيَّةِ أثَّرتْ تَأثيرًا وَاضِحًا في فَهْمِ النَّظَريَّةِ، وانعَكَسَتْ علَى تَطْبيقَاتِهما، ونتَائجِهما، ويُمكنُنا عَرضُ أَهمِّ نَتَائجِ هذا البَحثِ بإيجازٍ في نِقاطٍ؛ أَهَمُّها:

١- رَكَّزَتْ قِرَاءَاتُ السَّابِقِينَ عَلَى نَظَريَّةِ النَّظمِ حَولَ مفاهيمِ التّجانُسِ بينَ اللَّفظِ والمَعنَى، ومدى الإنسِجَامِ بينهما، وطرائقِ الائتِلَافِ، مَعَ تَركِيزِهم تَارَةً عَلَى اللَّفظِ، وتَارَةً عَلَى المَعنَى وتَوَسُّطِ بَعْضِهم بينَهما.

٢- اكتملتْ نظريَّةُ النَّظمِ لدَى عبدالقاهرِ؛ لاتِّضَاحِ هَدَفِهِ الذي طَمحَ إلَيهِ في تَحْقِيقِ وَعْيٍ متكاملٍ لدارسي الخِطَابِ البلَاغِيّ؛ كما اتّضحَ من جُهدِهِ في لمِّ شتاتِ النّظريَّةِ، ومُحاوَلَاتِهِ الجادَّةِ في تَوضيحِها، وتَبْسِيطِها للمُتخصّصينَ تنظيرًا وتطبيقًا.

٣- فتح الجرجانيُّ البابَ عَلَى مِصْرَاعَيهِ لتَنَافُذُ العُلُومِ العَربيَّةِ في نَظَريَّتِهِ؛ مِمَّا أكسَبَها مُرُونةً مُستمرَّةً في مُواجَهَةِ مُسْتَجَدَّاتِ الخِطَابَينِ: الإبدَاعِيّ والبَلَاغيّ؛ لِذَا رأَى اللَّاحِقُونَ ضَرُورةَ مُراعَاةِ حَرَكَةِ الزَّمَنِ في مُكوّناتِ النّظْمِ، واتَّضحَتْ مَعالِمُ قِراءَاتِهم لنَظَريَّةِ النَّظْمِ؛ كما نَجِدُ عندَ الزَّمَخْشريّ، والقَزْوينِيّ، والسَّكَّاكيّ، ولَدَى ابنِ كمال باشا الذي اقتَرَبَ في تطويرِهِ النّظَريَّةَ مِنْ فَهمِ المُحْدَثِينَ للمُستوَيَاتِ الأُسلُوبيَّةِ وَغيرِهم.

٤- تَنَافذَتِ نَظَريَّةُ النَّظْمِ معَ عِلمِ التَّناسُبِ؛ لتَسدَّ ثَغرَةً في الاهتِمَامِ بالإعْجَازِ القُرْآنِيّ في خِطَابِهِ وسِياقَاتِهِ.

٥- تَبايَنَتْ قِراءَاتُ المُحدثينَ للنَّظريَّةِ ما بَينَ مُزْدَرٍ لهَا، يَرى أنَّهُ مسبوقٌ إليها،وأنَّها جزئيَّةٌ لم تتَجاوزِ التَّراكيبَ البلاغيَّةَ، ولم تراعِ المستوى الصَّوتيَّ، ولا السّياقَ، ومنهم من رآها لاتقلُّ بأي حالٍ من الأحوالِ عنِ الدّرسِ الأسلوبيّ الحديثِ؛ بما أضفاهُ دي سوسير في علم اللِّسانيَّاتِ الحَدِيثِ، ومنهُم مَن رأى في نظريَّةِ النَّظْمِ أُفقًا أوسعَ وأشملَ منَ الأسلوبيَّاتِ الحديثةِ.

٦- تَساوَتْ مُقدّمَتا أبِي مُوسَى وعبدالمطّلبِ في عَددِ الصَّفحاتِ والكَلِمَاتِ تَقريبًا، وكثَّفَ كلٌّ منهُما فيهما قراءَتُهُ لِنَظَريَّةِ النَّظْمِ، ورُؤيتَهُ وفلسَفتَهُ ومُنطَلَقَاتِهِ النَّقديَّةَ والبلَاغيَّةَ، في ضَوءِ موقِفِهِ منَ التُّرَاثِ من جانبٍ، والوافِدِ الأوروبيّ من جانبٍ آخرَ، واتّفقَا في أنَّ نظرتَنا لأنفُسِنا تَتَحدَّدُ مِن وَاقِعِ نَظْرتِنَا للآخَرِ، كمَا اتَّفقَا في أنَّ مُصطَلَحَ الحَدَاثَةِ مُطلَقٌ، لايَرتَبِطُ بزَمَانٍ ولَامَكَانٍ.

٧- وَضَحَ في قِراءَةِ أبِي مُوسَى تَعصُّبُهُ للعَربِ، وحِرصُهُ أنْ تَكُونَ النَّظريَّةُ عَربيَّةً خالِصَةً؛ فأكَّدَ أثَرَ الجَاحِظِ أعظمَ من أثرِ سيبويهِ؛ كما أكّدَ أَصَالَةَ نظريَّةِ عَبدِالقاهرِ، مُعرّجًا على موقِفِ العَقَّادِ الذي تَمنَّى لَهُ أنْ لو أخلصَ للعُلُومِ العربيَّةِ لكَانَ أخرجَ لنَا نظَريَّةً تُماثِلُ نظَريَّةَ النَّظمِ، مُستشهِدًا في ذلكَ بهازلت وإليوت ونيتشه؛ وهُو ما يشْعِرُنا بِشيءٍ منَ التّناقضِ في مَوقفِهِ منَ الوافِدِ الأَجنبِيّ في النَّظريَّةِ.

٨- رأى أَبُو مُوسَى أَنَّ أَهمَّ أَسبَابِ البَلَاغِيّينَ في نِسبتِهم النّظَريَّةَ لعَبدِالقاهرِ قُدرتُهُ عَلَى الاستِقْراءِ والاستنباطِ والاستنتاجِ، مع الفِطنةِ والذَّكاءِ في المَزجِ بينَ مناهجِ العُلُومِ، لاسيَّما الفِقهُ وأُصولُهُ.

٩- يَرى أبُو موسى أنَّ مِن دَوافعِ مِيلَادِ نَظَرِيَّةِ النَّظمِ هُو تَصحيحُ الأخطاءِ البلَاغِيَّةِ، وتقويمُ زلّاتِها، وتقويمُ معوجّها؛ ويراها سمةً مُميّزةً للمنَاهِجِ العَربيَّةِ؛ فالنَّظريَّةُ أَعَادَتْ للعَرَبِ حقَّهُم في اهتِمامِهم بالمَعْنَى، كَما أنَّ نظريَّاتِ الأُصولِ والفِرقِ الكَلاميَّةِ صَحَّحَتْ بَعضَ المَفاهِيمِ.

١٠- استَنْتَجَ أَبُو مُوسَى مِن خِلَالِ قِرَاءَتِهِ شَوَاهِدَ عَبدِالقاهِرِ أَنَّهُ تَوَسَّعَ في أَدَبِيَّةِ الأَدَبِ؛ لاهتِمامِهِ بالتَّراكِيبِ اللُّغويَّةِ وتَثْويرِ مَعَانِيها بِصَرفِ النَّظَرِ عنْ كَونِها شِعْرًا أَو نَثْرًا أَو غَيرَ ذَلكَ.

١١- استنتَجَ أبو مُوسَى مِنْ نَظَرِيَّةِ النَّظْمِ أَنَّ غَرَضَ عبدِالقاهِرِ هُوَ مُواءَمةُ معَانِي النَّحْوِ ونَسَقَ النّصِّ ومقْصدِيَّةَ المُتكَلِّمِ وحَالَ المُخاطَبِينَ.

١٢- تَأْتِي قِرَاءةُ عبدِالمُطَّلبِ لنَظريَّةِ النَّظْمِ بِوَعْيٍ حَدَاثيّ؛ لكَونِهَا قِراءَةً استكشافيَّةً تقرأُ القديمَ بِعَقلٍ جَدِيدٍ، يُعِيدُ صِياغَةَ التُّراثِ بِلُغَةٍ جديدَةٍ قادِرَةٍ عَلَى السُّطُوحِ والأَعْمَاقِ، وتُقَدِّمُ المُقَدِّماتِ والنَّتائجَ، وتربِطُ التَّحليلَ بالتَّركيبِ، وتبْتَعِدُ عنِ انغِلَاقِها المُطْلَقِ، أو انفتاحِها المُطْلَقِ.

١٣- يُرجِعُ عبدُالمطَّلبِ الفضْلَ لعَبدِالقاهِرِ في لمِّ شَتَاتِ النّصِّ، واستِخْلَاصِ حَقيقتِهِ الكليَّةِ من خِلَالِ نَظريَّتِهِ المُتكَامِلَةِ؛ ويَرى أنَّ أَزْمةِ الخَطَابِ البلَاغيّ المُعَاصِرِ نَجَمَتْ عن سُوءِ قِراءَةِ التُّراثِ؛ إذْ حَوَّلَتْهُ إلَى قَضَايا جُزئيَّةٍ رَصديَّةٍ وَصفيَّةٍ، اِنعكَسَتْ عَلَى قراءةِالنَّصّ، وتَشويهِ التُّراثِ؛ لِذَا يَرَى وجُودَ ثَلَاثِ قِراءَاتٍ مُختَلِفَةٍ للنَّظريَّةِ؛ هيَ: استِرجاعِيَّةُ، واستِحْضَارِيَّةٌ، واستِنتاجِيَّةٌ، والأَخيرةُ هِيَ التِي تكشفُ سِرّ نظريَّةِ النَّظْمِ.

١٤- وَازَنَ عبدالمُطّلبِ بينَ النَّظَرِيَّتينِ: الجُرجانيَّةِ والغَربيَّةِ للأُسلُوبِ؛ فَوَجَدَ بينَهما اختلافًا في الدَّوافعِ، والغاياتِ والوُضُوحِ؛ فَالغَربيَّةُ أَكثَرَ وُضُوحًا، ولكنَّ دوافِعَهُمَا مُخْتَلِفَةٌ؛ فَالحَقِيقةُ الأَدَبيَّةُ وَرَاءَ الدَّرْسِ الغَربيّ، ولكنَّ الدَّوافعَ الدّينيَّةَ، وراءَ نَظريَّةِ النَّظْمِ؛ لِذَا انتهتْ موازنتُهُ إلى نَتيجَتَينِ؛ قُدرَةُ الجُرجانِيّ عَلَى استثْمَارِهِ جُهودَ سَابِقِيهِ ببوَاعثَ دِينيَّةٍ أَقوَى، وتَفرُّدُهُ بنظَرِيَّتِهِ كاملةٍ في النَّظمِ، كما أنَّها أَوسعُ وأعمُّ مِنَ الأُسلُوبِ؛ فالأُسلوبُ نَوعٌ مِن جِنْسِ النَّظْمِ.

١٥- يَرَى عبدُالمُطَّلبِ اتّفاقَ الجُرجانيّ وتشُومسكِي في اتِّخَاذِهِما النَّحْوَ وَسيلَةً وغَايَةً، ونَظَرتيهِما التَّوليديَّةِ في مُعالَجَةِ النُّصُوصِ الإبدَاعِيَّةِ، كما يَرَى أَنَّ مُصْطَلَحَ الشِّعْريَّةِ يتَّفِقُ مَعَ نَظَرِيَّةِ النَّظْمِ؛ في كَونِهما يقُومانِ على فِكْرَةِ الاختيارِ والتَّوزيعِ لإنتاجِ الدَّلَالَةِ، كما يرَى أنَّ نَظَرِيَّةَ عبدِالقاهرِ لم تُغفِلْ التَّناصَّ أو النُّصُوصِيَّةَ، أو تَداخُلَ النُّصُوصِ ؛ فيما اصطَلَحَتْ عَلَيهِ منَ التَّوارُدِ، والتَّدَاخُلِ، والاتِّفاقِ، والمُحاكاة اللَّفظيَّةِ، والتَّماثُلِ المُوسِيقِيّ.

١٦- يُقارِنُ عبدُالمُطَّلبِ التَّلَقِّيَ بينَ عَبدِالقاهِرِ ونَظَرِيَّةِ التَّلَقِّي الغَربيَّةِ، ويَرَى اتِّفاقًا وافتِراقًا بينهما؛ اِتّفاقُهما في الاهتِمَامِ بالمُتلقّي، وجَعلِهِ طَرفًا مَركزيًّا في عَمَلِيَّةِ الإبدَاعِ، وافتِرَاقُهما أنَّ المُتلقِّيَ تَالٍ للمُبدِعِ لَدَى الجُرْجانيّ، الذي يَعتمِدُ عَلَى مُتلَقٍ ذي كفَاءَةٍ خاصَّةٍ تَتَوازنُ وكفاءةَ المُبدِعِ، في حِينِ تَتَنوَّعُ مُسْتَوَياتُ القُرَّاءِ في نَظَرِيَّةِ التَّلَقِّي.

وختامًا، أَرجُو أن أكُونَ قد وُفّقتُ فيمَا إليهِ قَصَدْتُ، ومِن أَجلِهِ بذلْتُ الوَقتَ والجُهدَ، فَحَسبِي أَنَّنِي اجتَهدْتُ قَدْرَ الطَّاقةِ، وأسألُ اللهَ ﷻ ألَّا يَحرمَنِي الأَجْرَ، وآخرُ دَعوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

ثَبَتُ المَصَادِرِ والمَرَاجِع

- أوَّلًا : المَصَادِرُ:

- الجرجاني، أبو بكر(ت٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط٣، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩٢م.
- عبد المطلب، محمد، قضايا الحداثة عند عبدالقاهر الجرجاني، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ١٩٩٥م.
- أبو موسى، محمد ، مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني،ط١، منشورات مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٧م.

ثَنيًا: المَرَاجِعُ:

- الباقلاني، أبو بكر، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط٧، ٢٠١٠م.
- الزَّمخشريّ(ت ٥٣٨هـ)، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- أبو زيد، سمير، نظرية النظم عند عبد القاهر أول محاولة في العلوم الإنسانية، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد الأول، القاهرة، ديسمبر،٢٠٠٧م.
- الجاحظ(ت٢٥٥هـ)، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ.
- الجاحظ(ت٢٥٥هـ)، عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.
- جدوع، عزة، البلاغة في القرآن والسُّنة النبوية، ط٣، مكتبة المتنبّي، الدَّمَّام، ٢٠١٧م.
-جدوع، عزة، البلاغة والإعجاز في القرآن الكريم، مكتبة المتنبي، الرياض، ط٣، ١٤٣٨ه .
-جدوع، عزة، المعاني (دراسة في الانزياح الأسلوبي)، ط٢، مكتبة المتنبي، الرياض، ١٤٣٨ه.
- الجرجاني، أبو بكر(ت٤٧١هـ)، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط١،مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩١م.
- حلمي، القاعود، النقد الأدبي الحديث، ط١، دار النَّشر الدَّولي، الرّياض، ١٤٢٧هـ.
- الخطابي، أبو سليمان، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول، دار المعارف، مصر، ج١، ط٣، ١٩٧٦م.
- الرماني، أبو الحسن، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف، محمد زغلول، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦م.
- سعد، محمود توفيق، الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن، شبين الكوم، جميع الحقوق محفوظة للمؤلف،١٤٢٤هـ.
- السَّكَّاكِيّ(ت٥٥٥هـ)، ابن أبي بكر، مفتاح العلوم، تعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ.
- الشايب، أحمد، الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط١٠، ١٩٩٨م ، ١٩.
- الصعيدي، عبد المتعال، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغةِ، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٠هـ.
- عبدالجواد، إبراهيم، الاتجاهات الأسلوبية في النقد الحديث، وزارة الثقافة، عمان، (د.ت)، (د.ط).
- عبدالرازق، حسن إسماعيل، الكشف عن أصول دلائل الإعجاز بين أبي سعيد السيرافي وعبدالقاهر الجرجانيّ، دار الطباعة المحمدية ،القاهرة،١٩٧٩م.
- عبدالفتَّاح، أحمد إبراهيم، نظرية النظم بين عبدالقاهر وسَابقيهِ، رسالة ماجستير، كُليَّة الآدابِ، جامعة طنطا، ٢٠٠٠م.

- عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، ط٤، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ٢٠١٠م.
- عتيق، عمر عبدالهادي، علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرةِ، دار أُسامَةَ للنَّشْرِ والتَوزيعِ، عمان، ٢٠١٢م.
- عمر مختار، أحمد، علم الدلالة، ط٧، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- عياد، شكري، مدخل إلى علم الأسلوب، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض،١٩٨٢م.
- القزويني(ت٧٣٩هـ)،الخطيب، الإيضاح في عُلُومِ البلَاغَةِ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
- قنيبي، حامد صادق، دراسات عربية في التراث والمعاصرة، مكتبة المتنبي، الدمام، ١٤٢٢هـ.
- الكردي، عبدالرحيم، الأسلوب و الأسلوبيات، دار النابغة للطباعة والنشر، طنطا، مصر،٢٠٢١م.
- مراد، وليد، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣م.
- المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ط٣، الدار العربية للكتاب، القاهرة،١٩٩٣م .
- مصلوح، سعد، الأسلوب دراسة لغوية إحصائيَّة،ط٣، عالم الكتب، القاهرة،١٩٩٣م
- مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبوعات المجمع العلمي العراقي،١٩٨٧م.
- مندور، محمد، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، ط١،دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة،١٩٩٦م.
- ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري(ت ٧١١هـ) لسان العرب، دار صادر،ط٣، بيروت، ١٩٩٤م.

ثالثًا: الدَّوريَّاتُ:

- الأمين، محمد، أقلمة المفاهيم التداولية لنظرية النظم (من القرن الثَّالث إلى القرن الخامس الهجريّ)، قصّ للمسارات البلاغيَّة والفلسفيَّة والنَّحويَّة، مجلَّة كليَّة الآداب والعلُوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، عدد٧، ٢٠١١م.
- حسب النبي، نارمين، وجوه النظم والتناسب في بناء الجملة "سورة إبراهيم نموذجًا"، مجلة كلية الدراسات الإسلاميَّة(بنين)، جامعة الأزهر، أسوان، العدد الخامس، يونيو،٢٠٢٢م.
- زاده، مهين حاجى، رقية صادقي، نيري، رقية صادقي، نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجانيّ، قراءة حديثة، مجلة الباحث، مجلد٢، العدد ٥، أغسطس 2013م.
- زهرة، بوضروة، الأسلوبية العربية، والأسلوبية الغَرْبيَّة: التّقاطُعاتُ المرجعيَّة والرُّؤَى البينيَّة، مجلَة التَّحبير، مجلَّد ٤، العَدَد ١، الجزائر، مارس ٢٠٢٢م.
- الطوبجي، زهراء، النظم المعنوي والتركيبي لسورة البقرة: دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة، مجلة المنهل، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، م٣٨، ع٣، ٢٠١١م.